سُلْطَةُ الحِجَاجِ وحِجَاجُ السُّلْطَةِ

كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني نموذجًا

إعداد

د/ إبراهيم عبد الفتاح رمضان

كلية الآداب - جامعة المنوفية

سُلْطَةُ الحِجَاجِ وحِجَاجُ السُّلْطَةِ
كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني نموذجًا

إبراهيم عبد الفتاح رمضان
كلية الآداب – جامعة المنوفية
البريد الإلكتروني :iabdalbaky@qu.edu.sa

الملخص :

هذه الدراسة تحمل عنوان: سلطة الحجاج وحجاج السلطة: كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني نموذجًا، وقد قسمتها إلى تمهيد وثلاثة مباحث؛ وفي التمهيد تناولت تحرير المصطلحات التي شملت ثلاثة مصطلحات تقوم عليها الدراسة هي: (السلطة– الحجاج– المناظرة)، ثم المبحث الأول: سياق المناظرة. والمبحث الثاني: السمات المائزة لحجاج السلطة (حجاج القوة). والمبحث الثالث: السمات المائزة لسلطة الحجاج. ثم الخاتمة وبها أهم النتائج. ثم مصادر البحث ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: الحجاج– التداولية– المناظرة– السلطة.

power of pilgrims and pilgrims of power The book Al-Hiddah and Apology by Abdul Aziz Al-Kinani as a model

Ibrahim Abdel Fattah Ramadan
Faculty of Arts - Menoufia University
Email: iabdalbaky@qu.edu.sa

Abstract :
This study is titled: The Authority of the Pilgrims and the Pilgrims of Power: The Book of Al-Haydah and Al-Apologies by Abdulaziz Al-Kinani as a model. I divided it into an introduction and three topics. In the introduction, I dealt with the editing of terms, which included three terms on which the study is based: (authority - pilgrims - debate), then the first topic: the context of the debate. The second topic: the distinguishing features of the pilgrims of power (pilgrims of power). And the third topic: the distinguishing features of the authority of the pilgrims. Then the conclusion with the most important results. Then search sources and references.

Keywords: Pilgrims - Deliberative - Debate - Power.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن الحجاج نظرية توليها التداولية اهتمامًا كبيرًا، ذلك أنه يبحث في الأسلوب الذي يديره المتكلم حتى يحقق تغيير القناعات والمعتقدات لدى المتلقي من خلال الإقناع لا العنف، وما يساعده على تحقيق هدفه وبغيته من حجج محكمة ولغة جسد ونبر وتنغيم ونحو ذلك.

وما من شك في أن المناظرة شكل من أشكال الحجاج الذي تتعارض فيه وجهات النظر، وتظهر فيه معارضة كل صاحب رأي للآخر، فهي تقوم على المجادلة بطريقة منسقة ترتب الحجج ترتيبًا منمقًا يؤثر في المتلقي، من ناحية العقل تارة، والعواطف تارة أخرى، وفق مناقشة ومثاقفة تراعي السياق الذي تعقد فيه المناظرة، وتراعي كذلك الزمان والمكان والحضور.

والدراسة الماثلة تحمل عنوان: سُلطة الحِجاج وحجاج السلطة كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني نموذجا، وفي **الدراسات السابقة** سنجد مراجع لا حصر لها في الحجاج وأصوله وتقنياته، والمغالطة وتفصيلها، وسنجد مصادر قد تناولت كتاب الحيدة والاعتذار بالدراسة والبحث ومن هذه المصادر: الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة: مناظرة الحيدة والاعتذار أنموذجا، مراد ليتيمي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ٢٠١٢م. ومنها أيضًا: المنهج وتطويع دلالة النصوص لمتطلبات المذهب: قراءة في كتاب الحيدة والاعتذار، أحمد عمار مداس، ج ٤٥، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٢٠١٦م. ولكن أي من المصدرين، وكذلك المراجع لم يتناول فكرة بيان السمات التي يتميز بها حجاج السلطة، أو سلطة الحجاج،

فالعنوان وإن تقارب في مدونة الدراسة إلا أن كل واحد من الدارسين اتخذ وجهة تخالف الآخر في فحص المدونة وتحليلها والاستنباط منها.

وقد **قسمت الدراسة** إلى تمهيد وثلاثة مباحث؛ وفي التمهيد تناولت تحرير المصطلحات التي شملت ثلاثة مصطلحات تقوم عليها الدراسة هي: (السلطة– الحجاج– المناظرة)، ثم المبحث الأول: سياق المناظرة. والمبحث الثاني: السمات المائزة لحجاج السلطة (حجاج القوة). والمبحث الثالث: السمات المائزة لسلطة الحجاج. ثم الخاتمة وبها أهم النتائج. ثم مصادر البحث ومراجعه.

ويسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم السلطة، وهل هناك سلطة معنوية أم أنها مادية فحسب؟
- ما المقصود بالمناظرة، وكيف تسهم في تقارب وجهات النظر؟
- ما مدى مصداقية القول بأن الحجاج ضد العنف؟
- ما مدى تأثير السياق الذي جرت فيه المناظرة على مجرى أحداثها؟
- هل هناك سمات للحجاج المستقوي بالسلطة المادية؟
- هل هناك صفات مائزة للحجاج الذي لا يملك صاحبه سوى حُجته؟
- ما المغالطات الحجاجية التي وقع فيها المتحاجان؟

وأما **المنهج الذي سارت عليه هذه الدراسة** فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يحلل أفكار المدونة ويستنبط منها السمات المائزة لكلا الحجاجين.

ولم أبخل بجهد ولا وقت، فإن وفقت فذلك ما أردت، وإن كانت الأخرى فقد حاولت والله حسبي ونصيري وأسأله أن يهديني إلى الصواب.

(٠ / ٠) التمهيد: تحرير مصطلحات البحث:

ويشمل الحديث عن مفهوم السلطة في علم الاجتماع، ثم مفهوم الحجاج، ثم المناظرة تعريفًا وشروطًا وضوابطَ وآدابًا.

(٠ / ١) <u>مفهوم السُّلْطَة</u>:

السلطة في اللغة مأخوذة من سلط بمعنى قهر، أو كان فصيح اللسان حديدًا، أو الحجة والبرهان، وقال الزجاج :في قوله تعالى: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أي وحجة بينة. والسلطان إنما سمي سلطانًا؛ لأنه حجة الله في أرضه، قال: واشتقاق السلطان من السليط ... والسلطان: الحجة، ولذلك قيل للأمراء: سلاطين؛ لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق [١]. ويلاحظ من المعنى اللغوي دوران اللفظ حول معنيين: معنى حسي هو القهر وسلاطة اللسان، ومعنى آخر معنوي وهو الحجة والبرهان.

والسلطة في علم الاجتماع هي: القدرة القانونية على ممارسة النفوذ على فرد أو جماعة. ولقد ذكر قاموس "جوردن مارشال" مفهوم السلطة حينما وصفه بأنه مصطلح يستخدم في الغالب للدلالة على (العلاقات الاجتماعية التي يقوم فيها الطرف المسيطر بتبني اتجاهات وممارسات تدل على رعايته لتابعيه أو رعيته) [٢].

ويرى ماكس فيبر أن صاحب السلطة عليه أن يعتقد أن أوامره واجبة التنفيذ، وأن الخاضعين لسلطته ينفذون أوامره لاعتقادهم بشرعية السلطة [٣]. كما يقسم ماكس فيبر السلطة إلى ثلاثة أقسام، أو ثلاثة أنماط هي السائدة اليوم، ويمكن تصنيفها وفقًا للأساس الذي يستند إليه كل واحد منها في

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.

(٣) علي شلهوب، قراءة مقارنة في مفهوم السلطة بين ماكس فيبر وبيير بورديو، ص ٣٧٦، مجلد ١، العدد ١، مجلة أوراق ثقافية: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الكويت، ٢٠١٩م.

ادعائه شرعية سلطته؛ والأنماط الثلاثة هي: (السلطة القانونية الرشيدة أي التي تستمد شرعيتها من خلال القبول العام لمجموعة من القواعد والإجراءات) والنمط الثاني من السلطة هو (السلطة التقليدية؛ وهذه تتأسس شرعيتها على استمرارها عبر الزمن). والنمط الثالث يطلق عليها (السلطة الكاريزمية؛ وهذه السلطة تستمد شرعيتها من السمات الشخصية غير العادية للقائد) [١].

والسلطة مفهوم عريض –على حد تعبير إريك فروم– يحتمل معنيين مختلفين، وطبيعة الاختلاف كبيرة بينهما؛ فهي (إما سلطة عقلانية، وإما سلطة لا عقلانية) [٢]. والسلطة العقلانية تقوم على أمرين يميزانها هما الكفاءة والقدرة، ولذلك نرى أنها تحفز من يمارسها على النمو والارتقاء الدائم. وفي المقابل نجد السلطة غير العقلانية سلطة طائشة أساسُ اعتمادها على القوة، وتلجأ في الأعم الأغلب إلى استغلال الأفراد الخاضعين لسطوتها.

وعرف قاموس "لاروس" لعلم النفس السلطة بأنها: (التأثير أو النفوذ المفروض على الآخرين من أجل إخضاعهم) [٣]. وهو يقسم السلطة إلى أنواع منها: سلطة الأسرة، وسلطة المعلم "ويسميها سلطة المعرفة"، وسلطة

---

(١) المرجع السابق وينظر أيضًا: د. أمل إبراهيم الملاح، السلطة والمجتمع، مقال منشور في: مجلة العلوم الاجتماعية (إلكترونية صادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، في المملكة العربية السعودية على الشبكة الدولية الإنترنت): http://www.swmsa.net/art/s/2438.

(٢) إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، ص ٤٩، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٠، المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب، د. ت.

(٣) نقلا عن: عبد المجيد بنمسعود، مفهوم السلطة في ضوء المنظومة التربوية الإسلامية: دراسة نقدية لبعض الأطروحات المناهضة، ص ٦١، مجلد ٩، عدد ٣٥، المجلة التربوية، الكويت، ١٩٩٥م.

الحاكم وغيرها. فالسلطة في أغلب تعريفاتها نفوذ، وهذا النفوذ قد يكون ماديًّا محسوسًا كما في سلطة الحاكم، وقد يكون معنويا قِيميًّا كما في سلطة المعلم.

والدراسة تدور حول كلا المعنيين، ففي حجاج السلطة يظهر الجانب المادي للسلطة بقوتها ومحسوسيتها، وفي سلطة الحجاج يظهر الجانب المعنوي للسلطة؛ لأنها سلطة البيان والحجة والبرهان.

وقد اطلع الباحث على ما كتبه غير واحد من الباحثين والنقاد حول مصطلح (حجاج السلطة) أو ما سماه بعضهم: الاحتجاج بالسلطة [1]. ينقل محمد النويري عن وودز ودوغلاس والتون أن السلطة هي عبارة عن شخصية تتمتع بكفاءة عالية في مجال تخصصها، فيكون المتكلم ذا قدم راسخة، وباع طويل في المجال الذي يتحدث فيه. بلفظ آخر رجل ذو خبرة في مجاله الذي يختص فيه. غير أن البحث يخالف هذا التعريف لحجاج

(١) محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلًا في نقد الحجاج، ٤٢٢، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د. ت. وأيضا: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ١٩٩، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠٠٨م. وكذلك: عيد بلبع: المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، ص ١٣، المجلد الثاني، العدد الخامس، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ٢٠١٧م. وقد وضع الباحثون في الحجاج شروطًا لهذه السلطة لكي تدخل في باب الحجاج بدلا من السفسطة، ومنها: إدراك الحجة إدراكًا سليمًا، وأن تكون كفاءة السلطة حقيقية ليست مجرد شهرة، وأن يكون رأي الخبير في مجال تخصصه، وأن يدلل على ما يقول، وأن تتوفر تقنية وفاق إذا اختلفت سلطتان يشهد لكل منهما بالكفاءة. [محمد النويري، المغالطية مدخلًا في نقد الحجاج، ٤٢٢، مرجع سابق. وينظر كذلك: محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ٢٠٠، مرجع سابق].

السلطة لأنه ينطبق أيضًا على سلطة الحجاج. و(إن أي إنجاز للكلام عرضة للفشل إذا لم يكن صادرًا عن شخص يمتلك سلطة الكلام) [١]. وتذهب الدراسة مذهبًا آخر في تعريف سلطة الحجاج وهو: أنها هي الحجاج الذي يتقوى بالسلطة المادية، ذلك أن السلطة ليست في كل أحوالها تريد إكراه شعبها، بل إنها تفتح باب الحوار أحيانًا وتكون صادقة في ذلك، أو تفتحه لرسم صورة لنفسها أمام الآخرين على أنها تحترم الحريات، وتكفل حق التعبير. ولذلك ستعتمد الدراسة أن سلطة الحجاج هي الرجل الخبير في مجاله، وحجاج السلطة هو السلطة نفسها حين تحترم –ولو صوريًّا– حرية الحوار والنقاش.

(٠ / ٢) <u>مفهوم الحجاج</u>:

يعد الحجاج أحد أهم الوسائل التي تستعملها التداولية في اشتغالها؛ من جهة التركيز على الوسائل التي يسعى إليها المتكلم؛ لكي يؤثر في السامع فيغيِّرُ قناعاته ومعتقداته، ولذا كان التركيز على هذه الوسيلة في الفترة الأخيرة من الدارسين والباحثين، لاستكشاف السبل التي بها يكون الحجاج فاعلًا. ودراسة مبحث الحجاج تلتقي فيها جملة من العلوم والاختصاصات، ففي دراسته يلتقي علم المنطق، والخطابة، وعلم الاجتماع، والتداولية، وعلم النص، كما يهتم بفلسفة اللغة، وعلم الفلسفة، وعلم البلاغة وغيرها من العلوم.

ويدور الجذر اللغوي لكلمة الحجاج (ح ج ج) حول: النزاع والخصام، وهو أيضا: الدليل والبرهان الذي يقدمه مستخدم الحجاج للمحاجّ. فقد ذكر

(١) محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ١٩١، مرجع سابق.

ابـن منظـور أن حاجّـه محاجـة وحجاجًـا: نازعـه الحجـة. وذكـر أيضًـا أن الحجة: الدليل والبرهان [١].

كما يدور المعنى الاصطلاحي حول: علاقة خطاب بين شخصين: متكلم ومستمع يتحاوران في موضوع محدد، فيكون على المتكلم أن يدعم قوله بالحجج والبراهين؛ لإقناع المخاطب، ويكون للمخاطب حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع. وباختصار هو فن الإقناع. فهو: (عملية فكرية ذات هدف إقناعي انطلاقًا من تقديم مجموعة من الحجج والبراهين) [٢]. وكان الدكتور طه عبد الرحمن قد عرف الحجاج بأنه (كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها) [٣]. وهذا التعريف يشتمل على معنى مهم ذكره الدكتور طه عبد الرحمن بعد ذلك بقوله: (لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب "بكسر الطاء" بغير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطب "بفتح الطاء" من غير أن تكون له وظيفة المعترض) [٤]. فقد أشار إلى أن الحجاج يدخل كل خطاب يتم بين متكلمين، ثم أشار إلى أن لكل من المتكلم/ المخاطِب وظيفة هي: الدعوى التي يجتهد في أن تكون مقبولة لدى المتلقي، والمتلقي/ المخاطَب له وظيفة

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حجج، مرجع سابق.

(٢) عالم فايزة ابن أحمد، الحجاج في اللسانيات التداولية: دراسة لنماذج من القرآن الكريم، مجلة الكلمة، السنة ١٩، عدد ٧٥ منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ٢٠١٢م.

(٣) د. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٢٢٦.

(٤) السابق.

هي حق الاعتراض على الدعوى، وإن لم يعترض حقيقة لكن يبقى الاعتراض حقًا من حقوقه التي يلجأ إليه متى شاء.

ومفهوم الحجاج يتعدد من علم إلى آخر إلا أن معظم من درسوا الحجاج اتفقوا على أمرين يتكرران في كل تعريف للحجاج: أولهما: أنه خطاب إقناعي وظيفته الكلية الإقناع. والثاني: أنه بُعْدٌ جوهري في اللغة نفسها؛ فهو استراتيجية نعمد إليها لغويًّا وعقليًّا [١].

ولأن الحجاج يهدف إلى طرح الحجج للوصول إلى نتيجة –تصل مباشرة إلى المتلقي أو يستنبطها هو بنفسه– وقد يقتنع بها أو لا يقتنع فإن الحجاج يعتمد في العادة على طرح الدعوى والدعوى المضادة، كما أنه يسوق الحجج والأدلة والأمثلة المتعددة لإقناع المتلقي بالدعوى المطروحة للحجاج. ومن تقنيات الحجاج وآلياته: (الشرح والاستقراء والقياس والاستدلال والتعارض والجدل والتطابق والاستثناء والهدف والسبب والإضافة والنتيجة ...) [٢].

وكان الحجاج عند علمائنا قديمًا قد تركز في شكلين خطابيين، هما: المناظرة بين أرباب الملل والنحل، ثم انتقل إلى النحاة والمناطقة، وعلماء الفقه والأصول. هذا هو الشكل الأول. والشكل الثاني هو: الخطابة التعليمية حيث كان العلماء يحاضرون طلابهم في المساجد في مختلف العلوم. ثم تطور درس الحجاج، واتسع مدلوله حتى دخل جميع الخطابات اللسانية

(١) د. ليلى جغام، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ٢٣–٢٤، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م. بتصرف.

(٢) د. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ٧، موقع الألوكة: ./http://www.alukah.net/library/0/59949

وغير اللسانية. واتخذ البحث فيه اهتمامًا واسعًا فازداد التأليف فيه، وتخصص في درسه علماء كثيرون.

(٠ / ٣) <u>مفهوم المناظرة</u>:

وهي في اللغة مأخوذة من النظر، يقول ابن منظور: (المناظرة :أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه) [١]. ولا يخفى أن ابن منظور جعل المناظِر أخًا للمناظَر، وكأن القضايا الخلافية كثيرة، والخلاف فيها لا يفسد الأخوة، ولا يحيل المتناظرين إلى عدوّين.

وفي التعريف الاصطلاحي وردت للمناظرة تعريفات كثيرة منها ما ذكره الطوفي من أنها: (رد الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة. أو يقال: إنه علم أو آلة يتوصل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل) [٢]. ويعرفها الدكتور طه عبد الرحمن بأنها: (النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها) [٣] ويعرفها الدكتور علي جريشة بأنها: (حوار بين متناظرين بلوغًا إلى الحق أو جلاء للصواب) [٤].

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أنه (لم يطبق منهج على جميع مجالات المعرفة مثلما طبق وعمم منهج المناظرة في هذا التراث، فأكسبه خصبًا فلسفيًّا متميزًا) [٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ظ ر)، مرجع سابق.

(٢) نجم الدين الطوفي الحنبلي، علم الجذل في علم الجدل،٤٠، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، دار نشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ١٩٨٧م.

(٣) د. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٤٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م.

(٤) د. علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، ٦٤، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٨٩م.

(٥) د. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٦٨، مرجع سابق. ونقل =

وللمناظرة أركان وشروط وآداب، أما أركانها فأربعة: ١- موضوع وهو الذي يجري حوله التناظر. ٢- شخصان متناظران أو فريقان. ٣- حَكَم يفصل بين المتناظرين ويمنع الجور. ٤- جمهور وهم المشاهدون للمناظرة حاضرين بأشخاصهم أو من خلال التلفاز.

وللمناظرة شروط هي: العلم بقواعد المناظرة. والعلم بالموضوع المتناظَر حوله. وأن يكون الموضوع مما يصح التناظر حوله فالبدهيات والمسلمات لا مناظرة فيها. وأن يجري المتناظران على عرف واحد يكون متفقًا عليه بينهما [١].

وأما آداب المناظرة (والبعض يسميها أخلاقيات) فكثيرة جدًا نذكر أهمها:

=

كلامه الدكتور: ناصر عبد الرازق الموافي في بحثه: آداب المناظرة في التراث العربي بين النظرية والتطبيق، ٤٦٨، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، مجلد ١٢، العدد ٤، الجزء ١، ٢٠٠٣م.

(١) وهذه الشروط مختلف عليها بين الدارسين فما يجعله أحدهم شرطًا يجعله الآخر ركنًا أو أدبًا من آداب المناظرة؛ فمثلا الدكتور طه عبد الرحمن يجعل شروط المناظرة هي: وجود جانبين متناظرين، ودعوى يتناظران حولها، ومآلًا يقفون عنده بعجز أحد الجانبين مثلا، وأن يكون هناك آداب ووظائف لكلا الجانبين. ينظر: (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٧٤، مرجع سابق، بتصرف). وكذلك يجعلها شروطا: مكلي شامة في بحثه: حجاجية مناظرة سعيد السيرفي متى بن يونس، ١٠٢، العدد٩، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولودي، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١م. ويسميها الدكتور علي جريشة أركانًا. (أدب الحوار والمناظرة، ٦٩، مرجع سابق).

أن يكون المتناظران متقاربين علمًا ومكانة، وأن يمهل المناظر خصمه حتى يستوفي كلامه، وأن يتجنب المناظر الإساءة لخصمه أو الاستهزاء به (قولًا أو فعلًا)، وأن يقصد كل من المتناظرين إظهار الحق، وأن يتجنب المناظر من لا يكون مذهبه إلا المضادة واللدد في الخصومة والجدال العقيم. وألا يجلس للمناظرة في مجالس الخوف والرهبة ولا مجلس لا يسوى فيه بين الخصوم في الإقبال والاستماع، وأن يلتزم المناظر الموضوعية، وألا يلجأ إلى الحيل لقطع الخصم [1].

وهناك ضوابط أخرى وصل بها أحد الدارسين إلى أربعة وأربعين ضابطًا، وفصل في هذه الضوابط، وذكر لكل ضابط مثالا من مناظرة

(١) ينظر في آداب المناظرة: د. عبدالله خليفة السويكت: البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية: مناظرة الآمدي بين صاحبي أبي تمام والبحتري أنموذجًا: دراسة تداولية، ٤٥، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، العدد ٧، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وينظر أيضًا: سعيد بن عبد الله بن محمد العبري، آداب الحوار الإسلامي بين المسلمين وأخلاقياته، ٢٧، السنة ٦، العدد ١٣، مجلة الثقافة والتنمية، مصر، ٢٠٠٥م. وينظر كذلك: أحمد كمال أبو المجد، أدب الحوار، ٧-١١، العدد ٣، مجلة المسلم المعاصر، مصر، ١٩٧٥م. وأيضا ينظر: عبد الرحمان السايب، أدب المناظرة و الجدال عند علماء الإسلام، ٢٤٥، ع8 -٩، مجلة كلية الآداب بالجديدة، المغرب، ٢٠٠٤م. كما ينظر: عبد اللطيف سلامي، المدخل إلى فن المناظرة، ٥١، دار بلومزبري مؤسسة قطر للنشر، ط١، ٢٠١٤م. وينظر: عبدالرحمن بن أحمد السبت ، حجاجية المناظرات الأدبية : المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصري نموذجا: مقاربة أسلوبية، المجلد ١١، العدد ٢، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، ٢٠١٧م.

حدثت قديمًا سواء أكانت من القرآن أو من السنة أو من المناظرات العقدية أو الفقهية أو السياسية [١].

وللمناظرة بنية كلية وأخرى جزئية، فأما **البنية الكلية** فتتمثل في:

١- **الأشخاص**: والأشخاص في المناظرة ينقسمون إلى قسمين: أشخاص أساسية وأخرى ثانوية؛ فأما الأساسية فهم: المتناظران وقد يكونان شخصين، أو فريقين، أو شخصًا واحدًا في مقابلة فريق. ومن شروط المتناظر أن يكون معتقدًا لما يقول، وأن يكون عنده علم ودراية بالقضية التي يناظر فيها، وأن يكون عنده القدرة على المحاورة والجدل. والحَكَم: وقد يكون الحكم شخصًا واحدًا، أو أكثر من شخص. ومن شروط الحكم أن يكون عارفًا بأركان المناظرة، وأن يكون فاهمًا لآدابها، وأن يكون متقنًا للعلم الذي يتم التناظر فيه. وأما الأشخاص الثانوية التي لا تؤثر في المناظرة وليس من حقهم التدخل في مجرياتها فهم الجمهور. على أننا سنذكر من أخطاء المناظرة فيما بعد تدخل الجمهور بالتشويش على أحد المتناظرين –وهو من يخالف رأي الجمهور– بغية شغله عن الحجج التي يسوقها، حتى لا يؤثر فيهم، والجمهور –في أغلب الأحيان– يكون منحازا.

٢- **مكان المناظرة**: واختيار المكان الذي تجري فيه المناظرة قد يكون مقصودًا، وقد يكون اختياره عفويًّا. أو يكون مقصودًا يراد من هذا القصد إرهاب سلطة الحجاج، وتخويف المناظر.

٣- **زمان المناظرة**: يعد اختيار زمان المناظرة مهمًّا للطرفين، غير أنه أيضًا قد يكون مقصودًا أو غير مقصود، وفي تراثنا لم يحدد الزمان إلا

(١) عمرو سليم، فن المناظرة، ٦٤، كتاب إلكتروني من موقع: https://download-pdf-ebooks.org/literature-library

على وجه التقريب، ويكون تحديده من خلال معرفتنا بتاريخ وفيات المتناظرين أو الحكم.

٤- **<u>قضية الخلاف</u>**: لا يقوم حجاج بين متناظرين إلا إذا كان بينهما خلاف فكري في أحد الموضوعات التي تحتمل الخلاف؛ إذ لا خلاف في البدهيات، ولا في المسلمات. وينبغي أن تسير المناظرة في إطار هذا الموضوع ولا تخرج عنه، وقد عدّ الطوفي من حيل المناظرة التفريع والخروج عن الموضوع. وسيأتي ذكر لهذه القضية.

٥- **<u>الخطاب والحوار</u>**: يقوم التناظر بين الطرفين على الحوار، وكل حوار ينبني على الحجاج، ويهدف إلى الاستمالة والإقناع، ويذكر الدكتور طه عبد الرحمن أن (الفعالية الحجاجية صفة لكل خطاب طبيعي ... الحجاج فعالية تداولية جدلية) [١]. أما كون الحجاج فعالية تداولية فلأنه يهتم (بمقتضيات الحال المختلفة، والنظر في الظروف، والعمل على إنشاء معرفة عملية بإشراك الجماعة، كل ذلك في طابع فكري مقامي اجتماعي) [٢]. وأما كونها فعالية جدلية فلأن كل واحد من الطرفين حريص على إفحام مناظره بشتى البراهين العقلية والنقلية.

وأما **<u>بنية المناظرة الجزئية</u>** فتتكون من:

١- **<u>الدعوى</u>**: وهي أول ما يبدأ به أحد المتناظرين، ويسمى صاحبها مدعيًا، ويسمى أيضا: ناقل خبر. والطرف الآخر في المناظرة يسمى: معترِضًا [٣]. وقد يكون بدء المناظرة عن طريق الادعاء مباشرة، أو يكون هناك

---

(١) د. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٦٥، مرجع سابق.

(٢) ليتيمي مراد، الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني، ٧٥، رسالة ماجستير بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، =

سؤال من المعترض على المدعي حتى يذكر دعواه، فيقول له مثلا: ما رأيك في كذا؟ ومن أمثلة ذلك ما ذكره الكناني في مناظرة بشر المريسي: (ما حجتك أن القرآن مخلوق؟) (١).

٢- **المعارضة**: ويقصد بها الرد على المدعي، أو تفنيد حججه التي ساقها. ويسميها الدكتور طه عبد الرحمن: المنع.

٣- **ختام المناظرة**: تنتهي المناظرة حين يتحقق الهدف منها؛ وهو الوصول إلى تمحيص المسألة المتنازع عليها بين الطرفين. وحينئذ يسكت أحد الطرفين المتنازعين، فيكون سكوته بمثابة إعلان فوز الطرف الآخر في المناظرة؛ فإن كان السكوت من السائل الذي بدأ المناظرة سمي سكوته وعجزه إلزامًا، وإن كان السكوت من المعلل سمي سكوته وعجزه إفحامًا. وقد يكون هناك اعتراف بالعجز أو أن يسكت فلا يجيب.

=

٣٧٤، دار القلم، دمشق، سوريا، ط ٤، ١٩٩٣م.

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٧، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٢، ٢٠٠٢م.

المبحث الأول: سياق المناظرة

السياق هو اتجاه مجرى الأحداث في النص المدروس، الذي يراعي علاقة النص بأجزائه سواء منها ما كان سابقًا أو تاليًا بحيث تتضافر هذه الأجزاء لتوضح المعنى المراد للكلمة أو الفقرة، ولا نغفل مجموعة العوامل التي تحيط بعملية التخاطب، أو ما يسمى بالمسرح الكلامي، فلم يعد السياق مقتصرًا على ما يسبق الكلمة أو يلحقها لبيان معناها، ولكنه أعقد من ذلك بكثير فهو يشمل الظروف الاجتماعية التي تحيط بعملية التلفظ، ولها دور كبير في ربط الموقف الاجتماعي والموقف الكلامي. وللسياق تقسيمات كثيرة منها تقسيمه إلى داخلي يعنى بالوحدات المعجمية وعلاقاتها بما قبلها وما بعدها. وخارجي يعنى بما يحيط بعملية التلفظ من ظروف وأحوال لها أثر كبير في فهم الكلام بطريقة معينة تمليها هذه الظروف والأحوال.

وهذا المعنى للسياق هو ما ذكره ستيفن أولمان حيث أشار إلى أن السياق لا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، ولا القطعة كلها ولا الكتاب كله، ولكن ينبغي أن يشمل: (كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة) [١].

والسياق له دور حاسم في توجيه الدلالة، فهو (يحصر مجال التأويلات، ويدعم التأويل المقصود، وقد قال عنه أولمان: إنه الحارس الأمين للمعنى) [٢].

(١) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق د/ كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧م.

(٢) ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ٢٠٦، مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٣هـ.

والمناظرة بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي في مجلس المأمون لها سياق لابد من الوقوف عليه حتى نفهم طبيعة هذه المناظرة، (ذلك أن التحليل الحجاجي لأي خطاب لا يستقيم دون الوقوف على السياق الذي يؤطر هذا الخطاب، ويوضح مقصدياته، ويكشف عن بعده الإقناعي) (١). ولقد كانت المناظرة بين تيارين فكريين وليست بين شخصين؛ فبشر المريسي يمثل الفكر المعتزلي المبني على علم الكلام والجدل البرهاني، والكناني يمثل المذهب السني القائم على فهم اللسان العربي واستحضار النص القرآني من ناحية الفهم والاستشهاد. ولذلك ينبغي أن نقف على السياق الذي حدثت فيه هذه المناظرة ليتسنى لنا فهم نصها من خلال الوقوف على خلفياتها الثقافية التي طبعت المجتمع العربي وقت حدوث هذه المناظرة. وحديثنا عن السياق سيتناول السياق العام والطابع الذي طبع المجتمع العربي في عهد الخليفة المأمون، والسياق الخاص بهذه المناظرة، مع التنبيه إلى أن السياق الخاص سيتناول سياق الموقف قبل المناظرة وأثناءها وبعدها.

وفي السياق العام للمناظرة نجد أن الانفتاح على ثقافة الأمم الأخرى بعد الفتوحات قد رفد الحياة العربية بجملة من الأفكار والعادات والتقاليد، وقد وفد قوم من أصحاب هذه الثقافات إلى مقر الخلافة، وتعلموا اللغة العربية، وعلى الرغم من أنها كانت لسانًا ثانيًا إلا أنهم اجتهدوا فيها، وحاولوا تطويع الفكر الإسلامي لما هو موروث عندهم من ثقافات وعادات. وقد تبنى هؤلاء الوافدون أفكارًا كان من البعيد أن يتبناها العقل العربي الخالص الذي رضع

(١) عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطابة السياسية: خطبة معاوية بن أبي سفيان نموذجا، ١٥٥، الدورة التكوينية الثانية: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، جامعة القرويين بمراكش، كلية اللغة العربية، ٢٠١٦م.

اللغة العربية والقرآن الكريم من بيئته ومنذ صغره، لكن مثاقفة الوافدين أنشأت حراكًا عقليًّا، ووفتحت عقول العرب على أفكار جديدة، وجعلت العقل العربي يعمل على بقاء ثقافته ودينه بعيدًا عن تلك الأفكار الواردة من بيئة ودين غير البيئة العربية.

يتضح لنا الصدام الذي نشأ بين أصحاب الأفكار الوافدة والفكر العربي من مثل مناظرة السيرافي ويونس بن متى في مجلس ابن الفرات، وكانت المناظرة تدور حول (العلاقة الجدلية بين النحو والمنطق وروح المفاضلة بينهما) [١]. ودارت مناظرات كثيرة في تراثنا العربي حول قضايا فكرية وفلسفية وكلامية مثلت خطر هذا الوافد الجديد على الثقافة العربية، وقد جمع أبو علي السكوني من هذه المناظرات خمس عشرة وأربع مئة مناظرة [٢]. ونظرًا لتقدير المهتمين من العلماء بخطورة هذه الأفكار الواردة فقد أصبح لزامًا على الأمة أن تسلك أحد طريقين: العنف وإسكات المتكلمين وكبت حرية التعبير عن الرأي، أو النقاش والمثاقفة والمناظرة. والطريق الثانية هي التي تحدث ثراءً عقليًّا في المجتمع، وفتح باب النقاش والحوار والتواصل سيؤدي بالضرورة إلى إحداث تغيير في المواقف، وأما الطريق الأولى التي تقوم على العنف فإنها ستحدث نوعًا من الفوضى وإصرار الطرف المستضعف على مواقفه الأيديولوجية، نتيجة استبعادهم من دائرة

(١) رامي جميل سالم، الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي: دراسة تحليلية، ٢٨٧، المجلد العاشر، العدد الثالث، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٤م.

(٢) أبو علي السكوني، عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.

الحوار والتواصل. فانتهجت الدولة طريقة اللاعنف في دفع العنف –على حد تعبير طه عبد الرحمن [١] –.

وفي سياق المناظرة يتضح لنا تبني بعض الخلفاء لقضايا فلسفية منها القضية الأساسية في هذه المناظرة؛ وهي قضية خلق القرآن، وتكمن خطورة النقاش في هذه القضية في أننا حين نقول: إن القرآن مخلوق نكون قد عطلنا صفة من صفات الخالق سبحانه وهي صفة الكلام. ولو قلنا: إنه غير مخلوق سنصطدم بكوننا نسمعه أصواتًا، ونكتبه حروفًا، ونراه بأعيننا في مصاحف نقرؤها ونحملها معنا من مكان إلى آخر. وعلى الرغم من سهولة الجمع بين الأمرين؛ حيث إننا (إن أردنا أن القرآن كلام الله فهو قديم، وأردنا الصوت والخط والمصحف فهو حادث) [٢]. وعلى الرغم من ذلك كانت فتنة عظيمة؛ سجن فيها من سجن، وعذب فيها من عذب، وقتل فيها من قتل.

وكان المأمون مؤمنًا بمذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن، وفي بادئ الأمر لم يشدد على العلماء، حتى حفزه بشر وأتباعه أن يمتحن العلماء، ويشدد عليهم في اتباع هذا المذهب، وصار العلماء في محنة؛ فمنهم من تبنى رأي الخليفة، ومنهم من ورَّى في كلامه، ومنهم من ثبت على رأيه مخالفًا الاتجاه العام للدولة والسلطة.

أما زمان المناظرة فلم يتحدد له عام، ولم يتحدد له شهر، وإنما كان الإعلان الذي صدع به الكناني في يوم الجمعة، وكانت المناظرة في يوم

(١) طه عبد الرحمن، سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، ١٣٣، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

(٢) عبد القادر المغربي، مناظرة عالمين في مجلس المأمون، ١٠، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٢٩، الجزء الثاني، ١٩٥٤م.

الإثنين، ولا يعلم من أي شهر، ولا من أي عام كان ذلك الإثنين، ويبدو أنها على وجه التقريب في الفترة التي أوذي فيها العلماء نتيجة رأيهم في هذه المحنة، وأرجح أن تكون في أحد الأعوام التي بين ٢١٥هـ إلى ٢١٨هـ السنة التي توفي فيها المأمون.

أما المكان الذي جرت فيه المناظرة فهو بغداد حيث قصر الخليفة المأمون، وهو محدد بدقة في المناظرة، وله أوصاف ذكر الكناني بعضها؛ مثل كثرة الدهاليز بالقصر، وأنه مزين بالجبس ونحو ذلك من الأوصاف التي ذكرها الكناني في سياق الفترة التي سبقت المناظرة.

كان هذا جو المناظرة العام، وكانت هذه حال المجتمع في ذلك الوقت؛ محنة شديدة على من تبنى رأيًا يخالف الرأي المُعضَّد بالقوة والبطش. وواضح أن السياق الذي يؤطر المناظرة من (زمان ومكان وأطراف مشاركة في المناظرة وعلاقة هذه الأطراف بعضها ببعض والأفعال المصاحبة لهذه الفترة التي سبقت المناظرة والمواكبة لها) سياق مشحون حجاجيًّا، وهو السبب الذي سيرفع درجة الحرارة الحجاجية في داخل هذه المناظرة.

وفي السياق الداخلي للمناظرة نرى سياقًا قبليًّا، وسياقًا في أثناء المناظرة، وسياقًا بعديًّا؛ وقبل الحديث عن السياقات الثلاثة نرصد أن **المناظرة من سرد أحد أطرافها** وهو الكناني، وفي سرد أحد الطرفين ينبغي أن يكون هناك حذر؛ لأن الطرف الذي يحكي ينقل صورة لما يراه، ويعطي لنفسه أحقية التأصيل والتدليل على فكرته أكثر من الطرف الآخر غير الحاضر في الرواية، وإذا كنا نوافق راوي المناظرة عبد العزيز الكناني فيما روى، ونميل إلى تصديق ما رواه من سير المناظرة، فإن تراثنا العربي افتقد

–في الأعم الأغلب– من ينقل المناظرة مباشرة بطريقة حيادية؛ ولنضرب لذلك أمثلة من رواية الحاتمي لمناظرة جرت بينه وبين المتنبي [١]، وما رواه أبو حيان من مناظرته ابن عبيد حول الحساب والبلاغة [٢]، وكذلك مناظرة السيرافي ومتى بن يونس[٣]. وغيرها من المناظرات التي نرى فيها الراوي للمناظرة هو أحد المتناظرين. فيبدو صوت المخالف خافتًا، لم يعط من الحقوق ما أعطيه الآخر. ويبدو في المناظرات الثلاث التي سبق ذكرها مدى الخلل في إعطاء الخصم حقه، وترك الفرصة له لعرض رأيه. والخلل في المناظرات الثلاث كان على المستويين (الاستدلالي والتخاطبي، ولم يكن الهدف هو الوصول إلى أرضية مشتركة بين الطرفين في المناظرة والاحتجاج والبرهان على صحة رأي أحدهما، ولكن كانت الغاية الرئيسة هي الإفحام) [٤].

غير أننا مع الكناني سنميل أكثر إلى تصديق ما رواه، وعدم التشكيك في الردود التي ساقها في مناظرته، لما نعلم عنه من سمات العلماء التي أسبغها عليه غير واحد من أصحاب التراجم. كما أننا نجد في حججه منطقية تعتمد على فهم القرآن، ومعرفة باللسان العربي الذي نزل به القرآن.

(١) الحاتمي، مناظرة بين أبي الطيب المتنبي والحاتمي، ت: حسن محمد الشماع، المجلد الرابع، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٩٧٦م.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ١/ ٩٦، ت: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

(٣) السابق، ١/ ١٢٨.

(٤) محمود فرغلي موسى، أدبية المناظرة وكسر النموذج الكلامي، ١٢٦، العدد ١٧٨، مجلة عالم الفكر، الكويت، ٢٠١٩م.

وفي السياق القبلي الذي ذكره الكناني نجده يشير إلى ما قبل المناظرة؛ فقد اتصل به وهو في مكة ما يحدث في بغداد من بدعة القول بخلق القرآن، وتلبيسه على أمير المؤمنين، وما ترتب على ذلك من محنة، وما أصاب الناس من الرهبة والفزع، كما أحجم الناس عن مناظرة بشر المريسي خوفًا على أنفسهم ودينهم، وبلغه متابعة كثير من الناس للمعتزلة في هذا المذهب رغبة في الدنيا ورهبة من العقاب.

لم يقف الكناني موقفًا سلبيًّا أمام هذا الجو المخيف، والحالة المرعبة بل عبر عن نفسه فقال: (فأزعجني ذلك، وأقلقني، وأسهر ليلي، وأطال غمي وهمي) [1]. وقد كان شخصًا إيجابيًّا فخرج متوجهًا إلى بغداد، متضرعًا إلى ربه أن يحفظه حتى يصل فيبلغ دعوته، وقد كتم أمر خروجه إلى بغداد خوفًا من أن يُقتل قبل البلاغ. فلما ذهب إلى بغداد وجد من أمر هذه الفتنة أضعاف ما كان يصل إلى سمعه. فكان قراره وكانت شجاعته وتضحيته بنفسه وبولده: (فأجمَعَ رأيي على إظهار نفسي، وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد ... وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة) [2].

ومن تمام سياق الموقف ما ذكره الكناني من منع الفقهاء والمحدثين والمذكرين من القعود في الجامعين ببغداد وفي سائر المواضع خلا بشرًا وابن الجهم. وأما العلماء الذين لا يوافقون مذهبهم فمنهم من قتل سرًّا، وحملوه من بلد إلى بلد، ومنهم من جلد وشهِّر به، ومنهم من وافقهم خوفًا من السيف. وفي هذا الجو المخيف وقف الكناني بعد صلاة الجمعة ونادى بأعلى صوته لابنه، وهو عند الأسطوانة الأخرى: ما تقول في القرآن؟ قال:

(١) الكناني، الحيدة والاعتذار، ٢١، مرجع سابق.

(٢) السابق، ٢٢.

كلام الله غير مخلوق. فهرب الناس على وجوههم من المسجد إلا قليلا. وهنا جاء أصحاب السلطان وحملوه إلى عمرو بن مسعدة وزير المأمون. ثم سأله إن كان مجنونًا أو موسوسًا أو مظلومًا؟ فلما قال له: لا. قال: خذوه إلى منزلي. فسُحب سحبًا شديدًا، والحرس أمامه وخلفه. إلى آخر ما ورد في العنف معه حتى كلم له عمرو بن مسعدة المأمون، وكانت المناظرة. وهذا الجو المليء بالخوف والمحنة لابد من النظر إليه عند ذكر السياق.

وهناك تفاصيل كثيرة ذكرها الكناني قبل بدء المناظرة لها أثر كبير في سياقها منها أمر المأمون بأن يجمع الفقهاء والقضاة وسائر المتكلمين والمناظرين، كما أمر القواد والأمراء أن يأتوا بسلاحهم لترهيب الكناني. ومنها ما كان في دخوله على المأمون من أخذ الرجال بيده وعضده ويتعادوْن به وأيديهم في ظهره وعلى عنقه حتى قال لهم المأمون: خلوا عنه.

وأما ما كان من السياق الذي بدأت به المناظرة فهو سياق تسكين وتهدئة من الخليفة من حيث سأله عن جماعة من بني هاشم، ثم تكلم كلامًا كثيرًا لا حاجة له به إلا الإيناس وتسكين روعه. وعلى الرغم من هذا الموقف النبيل من المأمون إلا أنه كان حازمًا فقال له: ناظره وأنا الحكم، فإن كانت لك الحجة تبعناك، وإن لم تكن لك عاقبناك. ولعله بهذا يقطع على كل من يدعي أنه عالم أن يشغل الخليفة، ويضيع وقته بغير فائدة.

وأما سياق الحال بعد المناظرة فإن المأمون أعجبه حوار الكناني، ولكنه لم يرجع عن رأيه، وربما كانت هذه المناظرة سببًا في تخفيف وطأة هذه الفتنة على العلماء والعوام. وكذلك فرح الناس بهذه المناظرة واجتماعهم بباب الكناني كي يملي عليهم ما حدث في المناظرة، فأملى عليهم عشرة أوراق مختصرة؛ ليقطعهم عن بابه خوفًا من سوء العاقبة. ثم يبدو أنه أكمل كتابة المناظرة بعد ذلك في الكتاب المعروف: الحيدة والاعتذار.

المبحث الثاني: السمات المائزة لحجاج السلطة

صاحب حجاج السلطة يكون مدعومًا بسلطتين: الأولى مادية تدعمه هي القوة والسلطان، والثانية معنوية لكنها –في أغلب الأحوال– تكون أقل من السلطة المعنوية لسلطة الحجاج، وربما يعود ضعفها إلى ما ترتكن إليه من قوة السلطان فيكون اعتمادها على الترهيب أقوى من اعتمادها على الحجة والبرهان.

ولعل هذا التفريق هو الذي يجعلنا نوضح سمات كل سلطة من السلطتين فيما رجعنا إليه من المناظرات التي تحقق فيها شرط هذه الدراسة، وهو:

١- مناظرة بين طرفين.

٢- تتمتع إحداهما بسلطة الحِجاج.

٣- وتتمتع الأخرى بسلطتين: الحجاج والسلطة.

وفي مناظرة الحيدة والاعتذار التي كانت بين بشر المريسي الذي كان مقدمًا عند المأمون، ومدعومًا من السلطة، ويتكلم باسمها، ومتبنيًا للقول بخلق القرآن، وعبد العزيز الكناني المكي الذي مناظرًا له، ومؤكدًا على أن القرآن ليس مخلوقًا، وهو يملك سلطة الحجاج وحدها دون القوة الباطشة نجد عددًا من السمات المائزة لكل حجاج منهما. ونبدأ بالحديث عن حجاج السلطة أو (حجاج القوة):

(٢ / ٠) يتمتع حجاج السلطة بجملة من السمات نحاول أن نستوضحها من خلال دراسة مناظرة الكناني وبشر المريسي الذي كان مدعوما بجمهور مؤيد له، والخليفة الذي مثل حكمًا في هذه المناظرة كان على رأي بشر أيضًا، وقد تدخل –في بعض الأوقات بسؤال الكناني مآزرًا لبشر المريسي.

وإذا كان طبيعيًّا أن لكل سلطة سياسية أتباعًا ينافحون عنها، ويتمتعون باللسن والجدل فإذا تبنت السلطة رأيًا دافعوا عنه، حين يأتي من يناظرهم ويجادلهم، فطبيعي أيضًا أن يكون هؤلاء الأتباع ليسوا حياديين، واعتمادهم على القوة الحاكمة أو المسيطرة يجعلهم يخرقون قواعد المناظرة وأسسها، ولذلك يتحقق شرط هذه الدراسة من كون مناظر السلطة يتمتع بقوتين: قوة السلطة، وقوة الحجاج واللسن. فمن سمات حجاج السلطة:

(٢ / ١) <u>الترهيب والتهديد</u>:

وهي سمة من سمات حجاج السلطة، ويسميها عادل مصطفى الاحتكام إلى القوة (منطق العصا، اللجوء إلى التهديد) [١]، وأحمد دعدوش يسميها التلويح بالعصا [٢]. إن الذي يستعين بالسلطة في الحجاج يعتمد على السلطة أكثر مما يعتمد على الحجاج والحوار والجدل، وبالتالي يلجأ إلى التخويف والإرهاب حتى يصرف خصمه عن حجته، وكثيرًا ما يكون لهذا التخويف أثر في سير المناظرة أو –على أقل تقدير– على نفسية الخصم حتى يبدأ الحوار. ورد في كتاب المنية والأمل للقاضي عبد الجبار: (وجمع المأمون بين أبي الهذيل وبين زاذان بخت الثنوي، فجرت بينهما مناظرة. قال جعفر: «فبلغني المجلس ولم أحضر، فصرت الى زاذان بخت، فدخلت على شيخ له هيئة وجمال، فجلست إليه، وأعدت المجلس عليه، فقال: «المجلس كما بلغك، إلا أن المجلس لكم، والرئيس أمامكم، وفي دون

(١) عادل مصطفى، المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري، ٩٧، مؤسسة هنداوي، ط١، ٢٠١٧م.

(٢) أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ٣٥، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ط١، ٢٠١٤م.

هذا، يحق الحَصَرُ، وتغرب الحجة» [١]. هذه صورة من صور غروب الحجة لما يحيط بالمجلس من الرهبة التي تُذهِب الحجة، وتجعل الفصيح أبكم مفحمًا.

ومن صور الترهيب والتخويف ما حدث في مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي حين قال المأمون لبشر: (قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه) [٢]. فعلى الرغم من أن الأمر بالإنصاف كان صريحًا من الخليفة الذي هو الحكم في المناظرة إلا أن ذلك لم يحدث. قال عبد العزيز: (فوثب إليَّ بشر من موضعه الذي كان يجلس فيه كالأسد يثب إلى فريسته، فانحط عليَّ، فوضع فخذه الأيسر على فخذي الأيمن، فكاد أن يحطمها، واعتمد عليَّ بقوته كلِّها). وحِرْص بشر على أن يبدأ المناظرة بهذه الطريقة الغليظة مع خصمه إنما كان من باب الترهيب والتخويف حتى تعزب عنه حجته، وإصراره على الاتكاء على خصمه بهذه الصورة القاسية ما كان ليحدث إلا من شعوره بدعم من الحكم الذي هو على مذهبه في القول بخلق القرآن. الأمر الذي دعا الكناني إلى القول: (مهلا فإن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي، ولا بظلمي، وإنما أمرك بمناظرتي، وإنصافي). وأمام هذا الحديث البيِّن الحجة، المتضمن عتابًا مبطنًا للخليفة صاح المأمون ببشر: تنح عنه، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني. وهل أمر الخليفة يحتاج إلى تكرار؟ لولا أنه يركن إلى مكانته عند الخليفة، ويعلم أن الخليفة –من طرف خفي– يؤازره ويوافقه رأيه الذي يدين به.

---

(١) القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي، المنية والأمل، ٦٣، ت: الدكتور سامي النشار، والدكتور عصام الدين محمد، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٢م.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤١.

قد نتفهم لجوء المناظر الذي يضم السلطة لحجاجه إلى الترهيب من خلال النبر والتنغيم أو لغة الجسد إلى القوة، وهذه الأمور الثلاثة تمثل سلطة عاطفية على المناظَر، وقد سماها أرسطو الباتوس "pathos" وعلى الرغم من كونها تركز على عالم العواطف والأحاسيس إلا أن سلطتها لا يستهان بها مطلقًا. أقول: قد نتفهم الترهيب عن طريق الثلاثة الأمور السابقة لكن لا نتفهم الترهيب بمعناه الحسي الذي يجعل المناظَر يتحسس رأسه بعد كل كلمة يقولها. هذا النوع من الحجاج يسعى صاحبه إلى (حمل المخاطب على سلوك معين أو عمل معين سعيًا يستند إلى التهديد) [١]. والهدف من هذا الحجاج ليس الإقناع، وإنما الانصياع والتسليم. إن التداولية ترى أن رد فعل المتلقي يتوقف على (مدى قوة حجة صاحب الخطاب/ المتكلم الذي يحاول إقناع المتلقي بشجاعة الخطاب من أجل التواصل معه بقصدية مسبقة) [٢]. وإذا كان المتكلم في المناظرة الراهنة يحاول إقناع المناظر له (الكناني) بقوة السلطة وبطش السلطان وليس بشجاعة الخطاب أو قوة الحجة فلا فائدة في الإقناع؛ لأن المناظر أخطأ طريق الوصول نحو الإقناع.

إن التخويف والتهديد مخالف لما ينبغي أن يكون عليه جو المناظرة، ذلك أن العنف ضد الحوار والمناظرة، (ولمّا كان الحوار عبارة عن جملة من الأدلة، كان العنف ضدًّا له، فحيثما وُجد العنف فلا حوار؛ وحيثما وجد

(١) محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلًا في نقد الحجاج، ٤٢٢، مرجع سابق.

(٢) فاطمة داوود، الحجاج ونظرية التواصل، ٢٤٤، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشري البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، ط١، ٢٠١٢م.

الحوار فلا عنف) [١]. إن التضاد بين العنف والحوار يرفع عن العنف صفة الحوارية، (فكل عنف نفيٌ لأي فعل حواري أو خطاب تواصلي تدليلي عقلي مع الآخر) [٢]. وبدء المناظرة بهذه الصورة كفيل بإنهائها قبل بدايتها، لولا ما كان من ثبات انفعالي لدى الكناني الذي قابل العنف بالحوار.

(٢/ ٢) <u>استمالة الحكَم</u>:

حيث يقوم المناظر ببعض (السلوكيات التي تكسب النفوس وتقربها إلى المخاطب وتصرفها عن استخدام العقل إلى الحكم بالعاطفة) [٣]. وحين يكون الحوار بين من يحتمي بالسلطة، ومن يحتمي بالحجاج، يكون – غالبا– الحكَم رأس السلطة أو من ينيبه، وفي مناظرة الكناني لبشر المريسي نجد أن رأس السلطة (المأمون) هو الحكم.

إن الأصل في المناظرة حياد الحكم بين الطرفين، أَمَا والحكم على رأي أحد الطرفين، والمجلس كله في جانب رأي محدد، وليس للمناظر الآخر أحد ينصره، فإن كل ذلك يجعل حجاج السلطة في موقع قوة، ويستخدم تقنيات غير شرعية لهزيمة الخصم، وإحدى هذه التقنيات استمالة الحكم، بما يعرف عنه من مناصرة لفكرة الطرف المتسلح بالسلطة على المناظر الآخر. والتجاوز مسموح لصاحب السلطة، وليس مسموحًا به في حق صاحب الحجاج، الأمر الذي يجعل المناظر الآخر في موقف ضعيف لولا ما يملكه من حق يدافع عنه، وقضية عادلة ينافح عنها.

---

(١) طه عبد الرحمن، سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، ص٩، مرجع سابق.

(٢) بدر الحمري، بلاغة الحجاج في الخطاب النقدي الأخلاقي عند طه عبد الرحمن: سؤال العنف نموذجاً، ص ١٣٨، س ٢٥، ع ٩٩، مجلة الكلمة المغربية، ٢٠١٨م.

(٣) ربيعة برباق، المغالطات الحجاجية وخرق مبدأ التحاور، ٥٦، مرجع سابق.

وقد جرت محاولات من بشر المريسي لكسب الحكم إلى صفه. ومن ذلك أن بشرًا قال: "يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله (أي قول الله)، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات؛ فزعم أن الله –سبحانه– يخلق بها الأشياء، فأكذب نفسه، ونقض قوله، ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين –أطال الله بقاءه– الشاهد عليه، الحاكم بيننا) [١].

يتضح هنا ما يلجأ إليه بشر من المغالطة والمصادرة على رأي خصمه، ثم محاولة استمالة الحكم، وجعله يشهد له بالتفوق. كذلك في الكلام مراوغة للحكم من خلال تضخيم شأنه، وأنه بيده حسم المعركة؛ لكي يحكم له قبل أن يرد خصمه، ويوضح وجهة نظره.

(٢/ ٣) <u>الجرأة في التعميم</u>:

تصدر من المحاج المستند إلى السلطة تعميمات في كلامه، قد تكون قاصمة لظهره، وموبقة له، وهذه التعميمات تأتي من جرأة تدفعه إلى القول بها من غير مراعاة لجانب الدقة في القول، ولذلك يكون سقوطه مدويًا إذا استطاع الخصم أن يكسر قوله.

وهذه السمة تعدُّ مغالطة منطقية، وقد سماها الدكتور عبد الرحمن حبنكة: التعميم الفاسد [٢]. وسماها الدكتور عادل مصطفى: مغالطة التعميم المتسرع [٣]. وسماها الدكتور ربيعة برباق: المغالطة بالادعاء دون دليل [١].

---

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٥٢.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ٣٠٩، مرجع سابق.

(٣) عادل مصطفى، المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري، ٤٩، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٠٧م.

وهي مغالطة تقوم على استقراء عينة لا تمثل الكل، وإنما لجأ إليها المناظر متسرعًا فوقع في خطأ التعميم.

ومن أمثلة هذه السمة ما ورد في المناظرة (قال بشر: "يا أمير المؤمنين، قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا على أنه شيء) وهذه هي القضية أو الدعوى التي يريد بشر أن يثبتها حتى ينتصر في المناظرة، فلديه الدليل على ذلك وهو قوله تعالى: (الله خالق كل شيء)، لكن بشرًا قد سقط من حيث لا يدري حين أطلق حكمًا عامًّا فقال: (وهذه لفظة لم تدع شيئًا إلا أدخلته في الخلق، ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء) ثم علل سبب ذلك فقال: (لأنها لفظة استقصت الأشياء، وأتت عليها مما ذكر الله تعالى، ومما لم يذكرها) ثم حسم قضيته التي يريد إثباتها ليقول: (فصار القرآن مخلوقًا بنص التنزيل بلا تأويل، ولا تفسير) [٢]. ويلاحظ في هذا النقل أن بشرًا كان متأكدا من الانتصار على خصمه بهذه الحجة؛ فأكدها تأكيدًا عظيمًا، وأعاد المعنى بألفاظ مختلفة أحيانًا، ومتفقة أخرى، وكان يهدف من وراء التكرار اللفظي والمعنوي إلى تقوية حجته، وتأكيد ما وقر في قلبه من أن لفظة "كل" تشمل الأشياء جميعها لا يخرج عنها شيء.

ومن الواضح أن حجاجه هو (خطاب تذعين يتكئ على أحادية مسار توجيه المتكلم للنص المنقول ... يمثل نموذجًا من الانفراد القسري باحتكار

=

(١) ربيعة برباق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، ٥٥، العدد ٥، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ٢٠١٧م.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٥٦.

حق التأويل والاستحواذ التام عليه) [١]. وهذا ما جعل السقوط شنيعًا حين أثبت الكناني أن لفظة "كل" لا تفيد –في كل الأحوال– العموم والشمول.

(٢/ ٤) <u>إغراء السلطة بالخصم</u>:

يحاول المحاج المعتز بالسلطة إغراء صاحب السلطة بالخصم، فإنه لما لم يقدر على محاجته بالكلام اختار أن يؤدبه من خلال علاقته بهذه السلطة من خلال الإغراء حينًا، والتحريض حينًا، واستثارة نخوة السلطة على الخصم، ونحو ذلك، ومن الأمثلة حين أفحم الكناني بشرًا في أن "جعل" تكون بمعنى الخلق في المفصَّل من الآيات، وتكون بمعنى صيَّر في الموصَّل منها: قول بشر المريسي للمأمون (يذمنا ويكفرنا، ويقول: إنا نحرف القرآن عن مواضعه، وهو قد وضع قدر القرآن وشأنه، وسماه بأنقص اسم، ووصفه بأخس صفة وأقلها)، وهو من طرف خفي يغري المأمون بالكناني رغبة في أن يبطش به المأمون، ويركز بقوة على استدرار العطف بتحريك العاطفة الدينية لدى الخليفة.

ثم حكم عليه بأنه خالف القرآن وحرفه عن مواضعه؛ فالله تعالى سمى كتابه كتابًا عزيزًا وسماه كريمًا، (وسماه عبد العزيز موصلًا ومفصلًا، فخالف كتاب الله تعالى وصفته، وذم ما مدح الله)؛ وبين خطأ الكناني في تسمية القرآن موصلًا ومفصلًا (لأن الموصَّل عند العرب والعجم وسائر الخلق دون التام الصحيح الكامل)، ثم أخذ يظهر نفسه في صورة المسكين الذي يتحيز الحكَم ضده، ويتحامل عليه فيقول: (ولو قلت أنا هذا وما هو دونه لكان قد خطب وتكلم، واستغاث بأمير المؤمنين، وأخرجنا عن الإسلام)، وما هذه المسكنة وهذه الشكوى منظلم الحكَم إلا حيلة لكي يغري السلطة الباطشة بالكناني حيث ظهر مقصده حين قال: (وهو يقول العظام،

(١) عيد بلبع، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد، ١٢– ١٣، مرجع سابق.

ويحيل على العرب، وأمير المؤمنين –أطال الله بقاءه– يحلم عنه بفضله، وهو يتقوى بحلمه علينا) [1].

ونفهم من النقل السابق عدة أمور: ١– أنه يكيل التهم لخصمه، بأنه يضع من شأن القرآن ويحط من قدره. ٢– أنه يحرِّض المأمون بصورة صريحة عليه. ٣– أن الكناني ظالم له ومتجنٍ عليه، يقيم الدنيا عليه حين يخطئ، وها هو ذا يخطئ ولا أحد يرده إلى الجادة. ٤– تهييج المأمون عليه؛ فهو يلمز المأمون بأنه يحلم على خصمه، وهذا الحلم يطمع هذا الخصم فيه وفي أصحابه، وكأنه يلمح من طرف خفي إلى المأمون بضرورة أخذ موقف شديد معه.

(٢/ ٥) <u>توريط الخصم</u>:

وفي هذه السمة يكون المحاج المستعين بالسلطة حريصًا على تغليط الخصم، والتماس سبب –ولو كان ضعيفًا– لكي يصمه بالكفر، فيحل دمه، فيكون قد تحقق له ما أراد، فالحوار مع الخصم في نظر المستعين بالسلطة ليس غرضه الوصول إلى الحق، وإنما كسر الخصم، وبعد الكسر القتل، أو السجن، ومن خلال هذه الرغبة التي تستبد بنفسه يكون متحفزًا ضد خصمه، يؤول كلامه على كل الأوجه الخبيثة، ولا يجد له وجهًا واحدًا في الخير.

كان بشر وأصحابه حريصين على توريط خصمهم. ومثله أيضا حرص الحكَم وهو المأمون على تغليطه وتوريطه. ونفهم من ذلك أن الكناني لم يكن يناظر بشرًا وحده، وإنما يناظر نظامًا سياسيًا كاملا بعدته وعتاده، وأن سؤال المأمون له كان بمثابة وقوف على فكره، وهل هو ممن يقع في

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠.

تشبيه الخالق بخلقه أو لا. وأن القوم المناظرين له ما عندهم ورع يمنعهم من الكذب عليه.

(٢/ ٦) <u>المغالطات الحجاجية المتعمدة:</u>

يلجأ حجاج القوة إلى المغالطة؛ لقلة الحجة عنده، ولأن السلطة تقويه، فلن يحاسب على تجاوزاته، وهو لم يدخل المناظرة بقصد الوصول إلى الحق، ولكن لتوريط الخصم، وتقريره بما يوصله إلى سفك الدم، وفي هذه المناظرة حدثت مغالطات كثيرة من المحاج بالقوة وهو بشر، ومغالطات يسيرة من صاحب سلطة الحجاج وهو الكناني، ولعل مغالطات الكناني كانت رد فعل منه على هذه التجاوزات الكثيرة التي يسكت عنها الحكَم. ومن هذه المغالطات:

(١/ ٦/ أ) <u>تدخل الجمهور لمناصرة صاحبهم</u>:

حين يكون الجمهور تابعًا للسلطة تجد معه حصانة التدخل في مجريات المناظرة دون خوف من الحكَم، ذلك أن الحكم ميله مع هذا الجمهور، وبالتالي يؤثر ذلك على مجريات المناظرة، ولو لم ينتبه المناظِر لهذه التدخلات فإن المناظرة قد تفسد، أو تتضافر عليه الجهود فينهزم، وقد تحدث ضوضاء تجعل المناظرة لا قيمة لها، ولا ينحسم موضع النقاش.

ومن الواجب هنا أن يكون الحكم هو من يمنع تدخل الجمهور، ويجعل الحوار بين المتناظرين فحسب. ومهم أن يكون صاحب سلطة الحجاج واعيًا لهذه القضية فيعالجها بالحكمة حتى لا يقع فريسة لهجوم الجميع فيفقد صوابه.

وقد حدث هذا التدخل في المناظرة حين ذكر الكناني أن القرآن شيء، ولكنه ليس كالأشياء، فقال بشر: (قد اعترف أنه شيء، وأنه مخلوق، فليأت

بنص التنزيل الذي يجعله ليس كالأشياء، وإلا فقد ثبتت عليه الحجة) [1]. وعجيب أن يقول بشر على لسان خصمه ما لم يقله، ثم يرتب على قوله حكمًا ثم يطالبه بالدليل على ما ينقض ما قاله بشر على لسانه. ومع هذا الإرباك المتعمد نجد الحكَم يؤيد كلام بشر، وهذا يشي بعدم حياديته، لكنه الخليفة، ولا يجرؤ الكناني أن يواجهه بهذا التحيز؛ حيث يتوجه المأمون إلى الكناني قائلا: هذا يلزمك يا عبد العزيز.

وعلى الرغم من هذا الحيف نجد الكناني يتهيأ لكي يجيب ولكن جاء تدخل الجمهور: (وجعل محمد بن الجهم وغيره يصيحون يقولون: ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل). ويلاحظ أن تدخل الجمهور في مجريات المناظرة كان القصد منه الإرباك، وإضاعة الحجة من المناظِر، وتثبيت رأي صاحبهم، والتشويش على الحكَم في تحديد صاحب الحجة الأقوى، بل انجرت أهدافهم إلى تعجيزه حتى يكون الجزاء له على مخالفة الرأي العام الذي تؤمن به السلطة القتل، يقول الكناني: (وطمعوا في قتلي)، وقد دفع هذا التدخل بشرًا إلى الجرأة، والتأييد فكانت لغة جسده معبرة عن هذا التأييد والطمع في النصر على الكناني (وجثا بشر على ركبتيه، وجعل يقول: أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن).

وهذا النص المنقول يوضح لنا شدة الموقف الذي كان فيه الكناني، فهو إذا انهزم قُتِل، والجمهور يتدخل في المناظرة لتخذيله وهزيمته. لكنه كان واثقًا من نفسه، وأحسن التصرف في هذا الموقف، ويحكي لنا ما فعله بقوله: (وأمسكت فلم أتكلم) وهذا السكوت له أثر كبير في صمت الجمهور، لأنهم يظنون المناظر قد انهزم، ولكن الكناني كان له غرض آخر؛ فلما سأله المأمون: ما لك لا تتكلم يا عبد العزيز؟ أعلن عن سبب سكوته وهو أن

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٩.

بشرًا قد تكلم، وطالبني بنص التنزيل على ما قلت، وهو المناظر لي، فضجيج هؤلاء أي شيء هو؟ وهذا سؤال استنكاري لكي يردع الحكمُ الجمهورَ ويمنعهم من التدخل في الحوار. ثم قال الكناني: (وأنا لم أنقطع، ولم أعجز عن الجواب، وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبني) وتأتيه قوة الحق الذي ضحى بنفسه من أجله فيعلن موقفه قائلا: (ولست أتكلم في هذا المجلس ويتكلم فيه غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة، فيعتزل، ويتكلم غيره في مكانه)

ويلاحظ هنا أن هذا التصرف الصحيح من الكناني لم يكن أي تصرف آخر يحقق له ما أراد حيث أمسك عن الكلام، حتى يسكت هؤلاء الغوغاء، وهذا يدل على استعداده لمناقشة من يريد المناقشة، ولكن مع الالتزام بأدب الحديث والمناظرة. وهذه الثقة والتصرف الحاذق من عبد العزيز هو الذي دفع المأمون إلى أن يصيح بمحمد بن الجهم وأصحابه أن يسكتوا لكي تكتمل المناظرة.

(١/ ٦/ ب) **تحقير حجة الخصم:**

من مغالطات حجاج السلطة أنه حين يجد المناظِر له حجة قوية يقلل من شأنها، ويستهين بها حتى لا يكون لها وقع في نفس الحكم أو الجمهور. وهو في ذلك يرمي إلى أن يثبت أن خصمه ليس ذا حجة قوية، وإنما حجته هو الأقوى، وهذا من المغالطة التي يقصد بها الفوز بغير وجه حق. فهو لا يقصد بمناظرة خصمه الوصول إلى الحق، ولكن يريد أن يثبت أنه صاحب الحق، وغيره باطل.

ومن أمثلة ذلك ما ورد أيضا في المناظرة؛ حيث شرح الكناني أن القرآن هو أمر الله، وكلام الله، وقوله، وهو الحق. فقال له المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز. ولكن كان رأي المريسي غير ذلك، حيث قال بعد أن دعا لأمير المؤمنين بطول البقاء: (إنه يحب أن يخطب، ويهذي بما

لا أعقله، ولا أسمعه، ولا ألتفت إليه، ولا أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئا) [١]. وهو بهذا الكلام ينسف المناظرة كلها، وينسب خصمه إلى الخطباء الذين لا يفهم من كلامهم إلا حسن رصف الكلام، ولا فائدة جديدة تستفاد من قولهم، ثم زاد الفحش فنسب كلامه إلى الهذيان، وأن كلامه غير مقبول. وكل ذلك تعنت، وعودة بالمناظرة إلى منطقة الصفر مرة أخرى.

(١/ ٦/ ج) **تجريح الخصم**:

من سمات حجاج السلطة، وهي – كسابقتها– من أشهر المغالطات، وتتبني هذه المغالطة على رفض الفكرة المطروحة من الخصم بدعوى اتصافه ببعض الخصال غير المناسبة [٢]. ويكون ذلك بتعمد الانشغال بالطعن في الشخص بدلا من الانشغال بتفنيد القضية نفسها [٣]. وربما طرح المحاج هذه المغالطة بطريقة أخرى؛ فادعى أن خصمه خضع لظرف خاص اضطره للدفاع عن هذه الفكرة. وفي الغالب تكون هذه المغالطة أول ما يبدأ به المناظر؛ لأن فيها إبرازًا لعيوب الخصم –الخَلْقية أو الفكرية– ثم ينتقل العائب بعد ذلك إلى الادعاء بأن هذا الشخص لا يصلح للدفاع عن هذه الفكرة؛ لأنه ليس أهلًا لها بناء على العيب الشخصي الكائن فيه. وهذا التجريح سفسطة لا أساس لها من الصواب ذلك أن الحجاج والمناظرة إنما يكونان للأفكار وليس للخصال التي يتصف بها الخصم في جانب الخَلْق أو جانب الخُلُق، والاتكاء على هذه المغالطة يجعل إنما يكون القصد منه تشويش فكر الخصم حتى يذهل عن حجته العقلية التي أتى ليدافع عنها.

---

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٥٥.

(٢) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة: من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ٢٠، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.

(٣) ربيعة برباق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور، ٥٦، مرجع سابق.

ومن أمثلة هذه السمة التي تعدُّ مغالطة ما ورد في المناظرة: قال أحد جلساء المأمون –وهم جميعًا ممن يعتقد القول بخلق القرآن، ويقفون في صف المريسي–: (يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما أُرِيتُ خلق الله قط أقبح وجهًا منه) (١).

وقد سمع عبد العزيز هذه المقالة، وفهمها جيدًا، ورأى الشخص الذي قال ذلك، وقد كان به من الروعة والجزع والخوف ما الله به عليم. وقد أراد هذا المتحدث –من خلال المغالطة– أن يثني المأمون عن السماع لهذا الرجل، لا لشيء سوى أنه قبيح المنظر، وقبح المنظر في عرف المناظرات لا يؤثر في سيرها، ولكن الرجل بنى مذهبه على أن من كان قبيحًا لا يسمع له.

إن (الحوار ينبغي أن ينصرف من حيث المبدأ إلى الفكرة ذاتها قصد تمحيص صدقيتها، ويبتعد ما أمكن عن الخوض في أمور أخرى تصرف الأنظار عنها)(٢). ويبدو أن فكرة تجريح الخصم ليست جديدة؛ فقد وردت في موقف الكافرين من الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقالوا: (لولا نزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فبدلا من مواجهة القرآن ونقضه، وإظهار عدم صدقه –إن كان كذلك– لجأ الكافرون إلى الطعن في شخص صاحب الرسالة ومبلغ القرآن. ومثل ذلك في اتهامهم للقرآن بأنه أساطير الأولين، أو اتهام الرسول الكريم بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن.

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤١.

(٢) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة: من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ٢٠، مرجع سابق.

(١/ ٦/ د) **الغصب:**

وهو أن يأخذ المناظر وظيفة الاستدلال على بطلان دعوى للخصم، قبل أن يترك له فرصة إقامة الدليل عليها [١]. ويسمى ذلك غصبًا؛ لأن السائل يغصب حق خصمه في الرد، قبل أن يعطيه فرصه للرد. ومن أمثلة ذلك ما ورد في المناظرة من أن بشرًا قال للكناني: (تقول القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قلت: إنه شيء أقررت أنه مخلوق؛ إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل. وإن قلت: إنه ليس بشيء فقد كفرت؛ لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه، وأن حجة الله ليس بشيء) [٢]. ومبنى المغالطة هنا أنه لم يترك له الفرصة لكي يجيب عن السؤال الأول بل أجاب هو، وقصد بهذه الإجابة محاصرة الكناني عن طريق البرهان ذي الحدين، وأن يوقعه في أحد الاختيارين، وكلاهما ليس في صالحه، فيضطر إلى اختيار أقلهما ضررًا على مذهبه وهو الأول، فيقول: إنه شيء فيكون قد أثبت أنه مخلوق، وهو ما يريده بشر، لأن المناظرة كلها قامت من أجل هذه النتيجة، فغصب بشر خصمه باستباق الإجابة قبل أن يجيب. ولهذا كان رد الكناني عليه: (ما رأيت أعجب من هذا؛ تسألني وتجيب نفسك عني، وتكفرني ولم تسمع كلامي ولا قولي).

(١/ ٦/ هـ) **الحيدة:** وهي (انصراف الخصم عن الإجابة عن السؤال الذي طرحه المناظر، ليجيب عن سؤال آخر، عندما يدرك وقوعه في حرج، أو وقوعه في مسألة يستحيل حلها منطقيًّا) [٣]. ومن أمثلة هذه المغالطة ما

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ٤٥١. دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٩٩٣م.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٦.

(٣) ليتيمي مراد، الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار، ٩٩.

ورد في المناظرة حين سأل الكناني: (أتقرُّ يا بشر أن لله علمًا كما أخبر، أو تخالف التنزيل؟) وكان جواب بشر عن هذا السؤال فيه حيدة؛ حيث اجتلب كلامًا لم يسأله الكناني عنه فقال: (معنى علمه أنه لا يجهل) [١]. ولقد أدرك الكناني أن بشرًا قد حاد في إجابته، فتوجه إلى المأمون، وقرره بأن بشرًا يحيد، ويبدو أن المأمون نفسه لم يكن يعرف معنى الحيدة، فسأل الكناني عن الحيدة فشرحها له وبيَّن أنها واردة في الكتاب وكلام العرب، ومن ذلك قول الكفار حين سألهم إبراهيم –عليه السلام– عن أصنامهم: (هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون)، فكانوا بين أمرين: أن يقروا بنفع الآلهة لهم فيكونوا كاذبين، أو ينفوا عن آلهتهم القدرة وهي صفة نقص، فحادوا وقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون). إن الحيدة هروب من الإجابة، لأن صاحبها سيلزمه ما يخالف مذهبه الذي يؤمن به، فيحيد حتى لا يقر بغير مذهبه، وهذه الحيلة يسميها ربيعة برباق: المغالطة بالتهرب من الإجابة [٢].

(١/ ٦/ و) **<u>الجواب الجدلي</u>:**

وهو جواب يعطيه المجيب مع معرفته ببطلانه [٣]. وهذه على الرغم من كونها سمة من سمات حجاج السلطة الذي يمثله بشر المريسي في مجلس المأمون، إلا أنها –كذلك– تعدُّ مغالطة منطقية تمت في المناظرة فحين سأل الكناني بشرًا عن علم الله؛ أيقرُّ به أم ينكر فيكفر؟ قال: (معنى علمه: أنه لا يجهل). ولقد كان الكناني واعيًا لمجريات المناظرة، متمكنًا من أدواته الحجاجية، ولا يريد أن يسمح لخصمه أن يروغ، فكان جوابه على هذا

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٥٧.

(٢) ربيعة برباق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور، ٥٤، مرجع سابق.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ٤٥٤، مرجع سابق.

الجواب الجدلي أن توجه للحكم فقال: (لقد حاد عن إجابتي)، وهنا كان تدخل الحكم ضروريًّا فقال لبشر: (أجبه يا بشر، ولا تحد). بيد أن هذا الجواب لو نطق به بشر ظهر غلطه، وسقط احتجاجه. فلم يجد مفرًّا من اللجاجة والجدل، فقال: (قد أجبته عن معنى العلم أنه لا يجهل، وهذا جوابه، ولكنه يتعنت). وهنا تكون إجابة بشر جوابًا جدليًا، فقد أشبع الكناني بشرًا حديثًا عن الحيدة في القرآن وكلام العرب، وظل بشر متمسكًا برأيه في أن معنى العلم أنه لا يجهل. (وظاهر أن الجواب الجدلي لا يقصد منه إظهار الحق، فهو عمل لا يجوز في المناظرة) [١]. إن الجواب الجدلي ضرب من الحجاج لكنه مختلف عن الحجاج المستقيم، ويعد مغالطة فهو يوظف الحجة توظيفًا خاطئًا مقصودًا، فإن كانت الحجة تهدف إلى التضليل فهي حجة مغالطة، ويسميها عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الحجة الجدلية [٢]. وكذلك يسميها أحمد دعدوش نقلا عن عبد الرحمن الميداني [٣].

(١/ ٦/ ز) **<u>تدخل الحكَم بالسؤال</u>:**

حين يكون الحكم منحازًا لاتجاه بعينه، ويجد من أصحاب هذا الاتجاه ضعفًا في مناظرة الخصم، وتبدو الحجج كلها في جانب هذا الخصم يتخلى الحكم عن حياده، ويتدخل في المناظرة، محاولة منه لنصر الاتجاه الذي

(١) السابق، والصفحة ذاتها.

(٢) السابق، ٢٩٩.

(٣) أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ٧، مرجع سابق. وأحسب أنه ناقل جزءًا كبيرًا من بحثه عن عبد الرحمن حسن حبنكة الذي هو الأسبق في التأليف.

يؤمن به، فيأتي بسؤال لم يسأله صاحبه لخصمه بغية تقوية الجانب الذي يميل إليه.

ويكون الاستفهام هنا محملا بشحنات حجاجية حيث يتأول القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية، فيكون استفهاما خارجا عن دلالته الصريحة –وهي طلب الفهم– إلى استلزام حواري (يستلزم مؤشرات داخلية – كالتركيب الخاص بالاستفهام– ومؤشرات خارجية –كالمقام والحال– وبذلك يقتضي الإنجاز) (١).

ومن أمثلة ذلك ما فعله المأمون حين قال للكناني بعد أن أفحم بشرًا بأن الله من صفاته العلم فهو عالم: (تقول يا عبد العزيز: إن الله عالم؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فتقول: إن الله سميع بصير؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين). وهذان سؤالان تمهيديان، يقصد بهما جر الكناني وتوريطه، لأنه يريد أن يسأل عن مقتضى الإقرار بعلم الله وسمعه وبصره ليعطف رقبة الكناني إلى مذهب المعتزلة، فقال للكناني: (فتقول: إن لله سمعًا وبصرًا كما قلت: إن له علمًا؟ فقلت: لا أطلق هذا هكذا يا أمير المؤمنين. فقال: أي فرق بين هذين؟) والسؤال الأخير هو السؤال المهم الذي يريد أن يصيب الكناني في مقتل. ويعدُّ ذلك انحيازًا من الحكَم إلى جانب أحد المتناظرين. وهنا تبدو غوغائية بشر حيث أقبل يقول: (يا أمير المؤمنين، يا أفقه الناس، ويا أعلم الناس، يقول الله –تعالى–: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)" (٢).

(١) رامي جميل سالم، آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي: دراسة تحليلية، ٣٠٧، مرجع سابق.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠.

وهذا السؤال من جانب الحكَم يفيد أن المأمون بعدما تأكد من هزيمة بشر وإفحامه تدخل بنفسه، ولكن بصورة غير مباشرة؛ ليظل له صفة الحكَم، لكن السؤال مفخخ يقصد به إحراج الكناني، كما تتجلى لنا أيضا غوغائية بشر، وضجيجه، ومحاولة إحداث فوضى في مجريات المناظرة، وللمرة الثالثة يظل الكناني رابط الجأش، ولا يفقد سكينته، ويرد على المأمون بالحجة التي تقنعه.

(١/ ٦/ ح) **الأسئلة التعجيزية:**

والغرض منها أن يقف المناظر فلا يجيب فيعد عليه ذلك عجزًا، كأن يسألوه عن شيء ليس يستطيع الجواب عليه أحد، فيقف فيكون أمام الحكَم والجمهور عاجزًا. وهذه الأسئلة التعجيزية مغالطة في الحجاج، ولها سبب ذكره العلماء، وهو تعميم أمر خاص (حيث (ينسب المناظر إلى بعض أفراد العام ما ليس له من أحكام بغية التضليل) [١].

ومن أمثلة ذلك قول بشر للكناني: "قد زعمت أن الله علماً، فأي شيء هو علم الله، ومعنى علم الله؟". وهنا كان رد الكناني جاهزًا حيث قال: "هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته، وحجب عن الخلق جميعًا علمه؛ فلم يخبر به ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا عَلِمَه أحدٌ قبلي، ولن يَعلمَه أحدٌ بعدي؛ لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه) [٢]. ثم ساق له أدلة من القرآن على ما يقول، ويصرُّ بشر على أن يتكلم الكناني في كنه علم الله. وهذا نوع من الحفز على ارتكاب الخطأ، والقول على الله بغير علم. وهذه سمة من سمات المناظرة والحجاج حين يستعين بالسلطة، ذلك أنه يقصد إلى تغليطه وتوريطه، ويريد أن يكون قد سأله سؤالا عجز عن

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ٣١٢، مرجع سابق.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠.

جوابه، وليست هذه طريقة محمودة في المناظرة إذا كان الغرض منها بيان الحق، وابتغاء وجه الله. وتعدُّ (النية السيئة عاملا أساسيًّا في تشكيل ظاهرة المغالطة، وهي الحد الذي يميزها عن الخطأ أو الغلط) [١]. فالغلط غير مقصود ولا متعمد، وأما الغلط المقصود الذي ينبني على التدليس والتعتيم والتمويه بغرض تضليل المتلقي فهو المغالطة.

حين يفحم الخصم في مسألة، فيسأل الآخر عن أمر تعجيزي، فلا يجيب، عندها يدعي المحاج أنه عاجز، وأن الطرفين قد استويا في الإفحام، وتكون هذه بتلك. وهذا ما حدث بالفعل حيث سأل بشر عن علم الله ما طبيعته؟ فردّ عليه الكناني بأن هذه مسألة غيبية لم يطلع عليها بشر، ولا جن، ولا ملك. وهنا قال بشر: (واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين). وهذه هي النتيجة التي يريد بشر أن يصل إليها من وراء السؤال عن أمر لم يعلمه أحد من خلق الله. ثم إن بشرًا يريد الخروج من هذه المسألة بسرعة قبل أن يرد عليه الكناني؛ ليكون قد أثبت عليه العجز عن الجواب، والإفحام في هذه المسألة فإذا به يخاطب المأمون قائلا: (قد استوينا في الحيدة عن الجواب، ونخرج عن هذه المسألة إلى غيرها، وندعها على غير حجة تثبت لأحدنا على صاحبه فيما قال).

وهذه طريقة في التمويه يريد بها كسب الموقف بغير حق، ويلبس على الحكَم حتى يقضي له، ويجعلهما في الحيدة سواء. وهذه مغالطة فيها تمويه وتدليس في الحجاج والمناظرة بين الطرفين (والمغالطة هي الوجه السالب في الحجاج في مقابلة الوجه الموجب) [٢]. فكل حجاج يتم بين

---

(١) فطمة يحيى، استراتيجية المغالطة في التراث العربي، ٨٨، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، ٢٠١٦م.

(٢) محمد الناصر كحولي، الحجاج المغالطي في أدب الأخبار، ١١٤، العدد ٤٥، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ٢٠١٧م.

طرفين له وجهان، مثله مثل العملة ذات الوجهين: سالب وموجب. لكن الكناني كان ذكيًا فراجع المأمون في ذلك، ولم يتعدَّ هذه النقطة حتى أثبت كذب بشر وانقطاعه بشهادة الحكم وهو المأمون. ولذلك يقول الكناني: (ورأيت بشرًا قد حار وانقطع، وصح ما في يدي، واستبان الحق ووضح لأمير المؤمنين ولسائر من بحضرته) [1]. وهنا فضح الكناني أمر بشر، وبيَّن أنه يجادل (لا لأجل إظهار الحق، بل لأجل الانتصار على الخصم؛ بإلزامه أو إفحامه، وهي ممنوعة شرعًا) [2].

(١/ ٦/ ط) **المكابرة والإصرار بعد وضوح الدليل:**

بعد أن يناقش المستعين بالسلطة، ويفحَم ويتضح له زيف مذهبه يكابر بأنه على الحق، وغيره على الباطل، وأنه على بينة من أمره، وأنه صاحب حق لكنه قد ظلم في المناظرة والحجاج، ويعرف علماؤنا المكابرة بأنها (المنازعة لا لإظهار الصواب، ولا لإلزام الخصم، ولكن لإظهار الفضل) [3]. ومن أمثلة ذلك قول بشر بعد إفحامه وانقطاعه، وشهادة الحكم/ المأمون للكناني بأنه صاحب الحجة الأقوى: (ما انقطعت، ولا تحيرت، ولا بانت فضيحة مذهبي، وأنا على بينة من أمري)، ولا شك أن نفسه هنا قد تحرك الكبر بداخلها، وأراد أن يبين فضل نفسه على مناظره، فقال هذا القول، ثم إنه زاد على ذلك أنه لا يكتفي بمعرفة الصواب فحسب بل يدعو إليه وهو على ثقة من أنه صاحب حق، فيقول: (وما دعوت الناس

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ٤٥٣، مرجع سابق.

(٣) السابق، ٤٥٤.

ولا أدعوهم إلا إلى سبيل الرشاد، ولا أنا ولا هم إلا على سداد، وكل من خالفني فكافر حلال الدم) [١].

وتكمن خطورة هذا الكلام في كونه لا يعدُّ الأمر خلافًا فكريًّا، أو حتى عقديًّا، وإنما يكفر من قاله، ويبيح دمه. والمشكلة أنه قد استمع إلى الردود المقنعة التي أتي بها الكناني، فاقتنع بها الحكم، ومع ذلك ظل على رأيه وتكفيره لمخالفيه، وهذا يوحي بأن المكابرة صدته عن أن يقتنع بكلام خصمه، وربما لو طلب منه إعادة ما قاله خصمه لما استطاع ذلك أنه بينما يتكلم خصمه يزوِّر كلامًا في نفسه ليقطع به حجته.

(١/ ٦/ ي) **هدم ما تم بناؤه:**

من سمات المناظر الذي لا يملك حجة قوية العودة إلى ما تم تجاوزه بأسباب واهية، وكل ذلك لأنه يرى أنه قد يجد حجة فيما مرَّ من الكلام تعينه على قطع خصمه، ومن أمثلة ذلك ما ذكره بشر المريسي حين قال للكناني: (لو خطبت إلى غد ما تركت مطالبتك بما قلت، ... تَعبَّد الله الخلق أن يعرفوا الموصل والمفصل؟ وما يضر الخلق أن لا يعرفوا ذلك ولا يتعلمونه؟) وعلى الرغم من أن الحديث حول هذه الفكرة كان قد انقضى، إلا أن بشرًا أعاد الحديث فيه مرة ثانية، وهذا ما دفع المأمون إلى أن يقول له: (قد رجعنا إلى الكلام الأول!). بيد أن بشرًا اعترف بهزيمته دون تصريح بذلك فقال: (أدهشني بكلامه وخطبه عن تمام الكلام في هذا) وفي ذلك اعتراف بأن الكناني حجته أقوى منه، ثم أكمل بقوله: (وهو يتوهم أنه كسر قولي بهذا المفصَّل والموصَّل الذي لا يحتاج إلى معرفته، ولا يطالب أحد

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠، مرجع سابق.

به) [1]. وبشر يعلم أنه مخطئ فيما يقول، ومجانب للصواب ويسمي ذلك عبد الرحمن حسن حبنكة: المعاندة [2].

(١/ ٦/ ك) **تطوع بعض الجمهور بالتشويش على الخصم**

خدمة لحجاج السلطة: وهذا يفعله بعض الناس تقربًا إلى السلطة، وقد يعلم ذلك الحكم ويغض الطرف عنه حتى يشكو الخصم هنا تتدخل السلطة لتمنع هذا المشوش، لكنه ما يلبث حتى يعود مرة ثانية وثالثة للتشويش؛ حتى ينشغل الخصم فيذهل عن الحجة وينقطع. ومن أمثلة ذلك ما رواه الكناني قال: "وكان خلق ظهري وأنا في مجلس أمير المؤمنين المأمون أناظر بشرا المريسي على ما سأذكره في هذا الكتاب رجل ممن يعرف بالكلام والنظر، فجعل كلما سكت بشر وانقطع يحرضه على الكلام، وإذا أردت أنا أن أتكلم لا يزال يهذي خلفي، ويقرب رأسه من أذني؛ ليسمعني، ويدهشني، ويقطعني بذلك عن حجتي، فشكوت إلى أمير المؤمنين ذلك فصاح به، وباعده عني، فلما قلت لبشر: ما من شيء كان أو هو كائن مما يحتاج الناس إلى معرفته وعلمه إلا وقد ذكره الله عز وجل في كتابه عقِله من عقِله، وجهله من جهله، فإذا ذلك الرجل يضرب يده على فخذه ويقول: يا سبحان الله! تزعم أن كل ما هو كائن مما يحتاج إليه قد ذكره الله؟ ما أعظم هذا!! وكيف يعلم ما هو كائن فيذكره؟!! [3].

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٨٩-٩٠.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ٤٥٤، مرجع سابق.

(٣) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٦٠.

المبحث الثالث: السمات المائزة لسلطة الحجاج

من سمات سلطة الحجاج:

(٣/ ١) <u>التخطيط الجيد للحجاج:</u>

من سمات صاحب الحجاج الذكاء والحيلة، والتخطيط الجيد للأمر، وإعداد العدة؛ وقد فعل ذلك الكناني حين ستر أمره عن الناس، وأخفى خبره على الجميع، حتى لا يشيع السر فيقتل قبل عقد المناظرة، وقد أضمر في نفسه أن يجهر بقول الحق على الملأ في يوم الجمعة، وبذلك يضمن أنهم لن يقتلوه بعد الإشهار والإعلان، فيتهموا بإخراس ألسنة المعارضين، وقد كانوا حريصين على أن تكون الصورة العامة لهم مقبولة عند الرعية.

ومما يلحق بهذا التخطيط الجيد والحيلة الذكية أنه أقام ابنه عند الأسطوانة الأخرى، حتى يكون الكلام في ظاهره حوارًا بينه وبين ولده، وقد اتفق معه على الجواب الذي يقوله حين يسأله، فقال الكناني لابنه: (يا ابني، ما تقول في القرآن؟ وجاء رد الابن صريحًا ليس فيه مواراة: كلام الله غير مخلوق).

ومن التخطيط الجيد للمناظرة إصراره على أن تكون المناظرة بنص التنزيل، حيث إن من ألحد في كتاب الله لم يكن الرد عليه إلا بنص التنزيل.

(٣/ ٢) <u>التضحية بالروح من أجل المعتقد:</u>

الذي يؤمن بفكرة، ويكون مخلصًا لها، يكون مستعدًّا للتضحية من أجلها، فإذا كانت الفكرة هي الدين والعقيدة تضاعف العزم على التضحية، ولو كانت الروح ثمنًا للدين لما كانت غالية. وهذا الأمر هو ما دفع الكناني أن يترك مكة ويقطع الفيافي والقفار إلى بغداد، ليس معه أحد سوى ابنه، ولم يعلم بخروجه أحد حتى لا يثبطه، أو يفتضح أمره، ولما وصل إلى بغداد تعرض لتهديدات كثيرة، وأذًى كثيرٍ من الجند، وإرهابٍ شديدٍ من عمرو بن مسعدة، وفي كل لحظة يكرر عليه: (سفك دمك، وقتل نفسك). لكنه لم

يتراجع، وحتى حين دخل على الخليفة المأمون تكرر هذا الكلام من بشر المريسي، ومن المأمون، وممن حضر المجلس من أنصار بشر، وهو ثابت لا يخاف القتل، ولا يرى نفسه أعز من دينه.

(٣/ ٣) <u>التشديد على وضع مبادئ للمناظرة</u>:

الاتفاق على المبادئ التي تحكم المناظرة تقلل من سطوة حجاج القوة، أو قل حجاج السلطة؛ فالكناني وحده يمثل مذهبًا، وبشر المريسي ومعه كل من في المجلس، بل معهم الحكَم في المناظرة أيضًا وهو الخليفة. وهنا لابد من وضع ضوابط تحكم الحوار لا يخرج عنها الطرفان، إنه نوع من الاحتماء بهذه الضوابط في مقابلة سلطان القوة، والعنف الذي يلحظه في عيون المتربصين به الذين لا يشكون لحظة أنه مقتول، وممثل بجثته. ومن هنا اشترط الكناني على الخليفة أن تكون المناظرة بنص التنزيل، وهذا الشرط قد ضيق الخناق على بشر المتكلم، الذي يتقن علم الكلام والجدل أكثر مما يتأمل القرآن. وقد علل الكناني سبب لجوئه إلى هذا الشرط فقال: (إن من ألحد في كتاب الله جاحدًا، أو زائدًا لم يناظر بالتأويل، ولا بالتفسير، ولا بالحديث) [(١)]. فلما سأله المأمون: وبأي شيء تناظره؟ قال: (بنص التنزيل). ومما يدل على أن الخليفة لم يكن يقدر الأمر قدره حين تبع بشرًا على القول بخلق القرآن أنه سأل الكناني: (ويخالفك في التنزيل؟) وكان رد الكناني: (نعم ليخالفني، أو ليدع قوله ومذهبه ويوافقني).

ومن أهم سمات سلطة الحجاج عدم السماح بمخالفة المبادئ التي تم إقرارها، حتى لا تتحول المناظرة إلى فوضى، كما أن التمسك بالمبادئ المتفق عليها يزيد سلطة الحجاج ثقة، ويمنع التجاوز، ويضيق على الخصم المتسلح بالسلطة والقوة؛ ذلك أن صاحب السلطة لا يحب أن يقيده أحد

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٦.

بشيء. ومن أمثلة التمسك بالمبادئ وعدم السماح بالخروج عنها: أن الكناني سأل بشرًا عن علم الله فقال بشر: (إنه لا يجهل). وهنا أراد الكناني أن يذكِّر الحكَم أولًا؛ وهو المأمون، ثم يذكر بشرًا بما اتفقا عليه في بداية المناظرة من أن المناظرة بنص التنزيل فقال الكناني للمأمون: (يا أمير المؤمنين، لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء ... فليقر بشر أن لله علمًا كما أخبرنا في كتابه... وقد حاد يا أمير المؤمنين عن جوابي). ثم التفت الكناني إلى بشر وقال: (لابد من أن تقول إن لله علمًا كما أخبر، أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حيدتك)[١]. وهذه نقطة نظام من الكناني، وتذكرة بالمبدأ الذي اتفقوا عليه في البداية.

كما ينبغي لصاحب سلطة الحجاج أن يكون واعيًا لا ينجرف إلى ما يخالف المبدأ المتفق عليه في المناظرة؛ حتى لا يكون تنازله عن المبدأ بداية للانحراف بالحوار عن الوجهة التي عُقد اللقاء لأجلها. ذلك أن المتكلم (يرسل حجة تلو حجة، وقد يجعل الحجة الأولى حجة لمنطوق آخر، وهكذا تتصل الحجج بشكل منطقي) [٢]. فلو أن الطرف الآخر/ المحاجَّ تنازل عن المبادئ التي وضعها في بداية مناظرتها سيتفرع الحجاج، وينسى ما ذكره، ويتشتت ذهنه، لأجل ذلك لابد من الثبات على المبادئ التي يضعها لمن يحاوره من أول المناظرة إلى نهايتها.

غير أن المناظر المتمكن من أداته وسلطته الحجاجية قد يغير الشروط حسب رغبة الخصم، إذا كان قد وقف على ما عند خصمه، وعرف حججه، وتأكد أنه يملك من الأدلة ما يلجمه، ومن أمثلة ذلك موافقة الكناني

(١) السابق، ٥٨، مرجع سابق.

(٢) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ٢٧، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠١١م.

على أن يناظر بشرًا بالتأويل، ويبدو أن الكناني –من ذكائه الحاد– وقف على ما لدى بشر، وعرف الدائرة التي يدور فيها. وخبر ضعف موقف خصمه، فكانت الموافقة على تغيير المبادئ التي وضعها لأنه متأكد من الفوز عليه، وحين قال بشر: (عندي أشياء كثيرة، إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس. فليدع مطالبتي بنص التنزيل، ولينظرني بغيره) [١]. رفض ذلك المأمون، غير أن الكناني استأذن أن يوافقه، ويناظره بالنظر والقياس. وذلك ثقة في النفس، وتمكن من الآلة، وتحكم في مجريات المناظرة، يتمسك بالمبادئ التي وضعها كيفما يشاء، ويغيرها وقتما يحب. والحجاج يقوم على حجج وليس على أقوال، والخطاب يحمل طاقة تأثيرية في المتلقي (لأن المتكلم يطلق حجة، ولا يطلق قولا يحاول به إقناع المتلقي) [٢].

(٣/ ٤) <u>الثقة بالنفس</u>:

من سمات سلطة الحجاج أن يكون المناظر واثقًا من نفسه تمام الثقة، ثم لابد من إظهار ذلك للخصم، وكثيرًا ما نجد في الألعاب الرياضية من يقوم بحركات استعراضية ليثبت لخصمه مدى الإفراط في ثقته بنفسه، وفي أول المناظرة قال الكناني لبشر: (ما حجتك على أن القرآن مخلوق؟ وانظر إلى أحدٍّ سهم في كنانتك فارمني به، ولا تحتاج إلى معاودتي بغيره) [٣]. وحين سأله بشر عن أن القرآن شيء أو غير شيء، وبدأ بشر يفصل

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٩٤.

(٢) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ٢٧، مرجع سابق. وينظر أيضا: سري مؤيد عبد اللطيف، ومحسن علي عريبي، استراتيجية الحجاج في الأصمعيات، ص٦٢٠، مجلد ٤٧، حوليات آداب عين شمس، ٢٠١٩م.

(٣) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٦.

ويجيب بدلًا من الكناني، قال له: (إني أحسن أن أجيب عن نفسي، وأحتج عن مقالتي ومذهبي). ثم أراد أن يخلخل ثقة بشر في نفسه فقال: (وما أحسبك إلا قد تعلمت شيئًا، أو سمعت قائلًا يقول هذه المقالة، أو قرأتها في كتاب، فأنت تكره أن تقطعها، حتى تأتي على آخرها). وهذا الكلام في الموقف الذي يجلس فيه الكناني، ومدى الترهيب الذي حصل له، حيث أريد له أن يكون قليل الثقة بنفسه، لكنه كان قد استعان بالله، وأخلص له النية، وكان واثقًا من معلوماته، ومعدًا للأمر عدته.

وكونه يواجه بشرًا بهذا الكلام؛ ليكسر من قوة السلطة التي يتمتع بها بشر، ويؤثر على الجمهور الذي جاء مناصرًا لبشر، وهناك فوائد عديدة للثقة بالنفس في هذا الموقف؛ فهي تقي المناظر الدهَش، وضياع الحجة، وتقوي القلب، وتهز ثقة الخصم في نفسه، وتجذب أنظار الجمهور ... وغير ذلك من الفوائد. وفي موضع آخر من المناظرة ما يفيد ثقة الكناني في نفسه حين قال لبشر: أتسألني أم أسألك؟ ثم قوله بعد ذلك: (فطمع فيَّ هو وجميع أصحابه، وتوهموا أني إذا خرجت عن التنزيل لم أحسن أن أتكلم بشيء غيره) [(١)].

ومن الأمور التي تعزز ثقة المناظر في نفسه التمكن من موضوع الحجاج؛ وإذا كان أساس الاحتجاج هو كتاب الله، فإن التمكن من حفظه استظهارًا واستشهادًا مما يزيد حجة المتحدث به، ومن أمثلة ذلك ما فعله الكناني في مناظرته لبشر المريسي من سوق الآيات الكثيرة على الأمر الذي يناقشه؛ فالقرآن له منزلة عليا في قلوب المؤمنين في الاستشهاد به لأنه يؤدي مقصدية (استلاب الخصم لأدواته الدفاعية، كما يؤدي إلى

(١) السابق، ٩٥.

الإفحام، وإقناع الجمهور كونه السلطة الأقوى في البنى القولية التي تستمدها من مرجعيتها النافذة في ضمير الثقافة الإسلامية) [١].

وقد تميز الكناني بأنه يسوق شواهد كثيرة على القضية الواحدة، وهذا يدل على سعة علمه، وتمكنه من حجته، وصدق توجهه، وقد كان أحيانا يطيل في ذلك حتى يرده المأمون، فيقول له: بعض ذلك يكفي. وما ذلك إلا الرغبة في التوضيح والتفصيل، وإزالة الشبهات لدى الجمهور المستمع. ومن تطويله في الحجج ما ذكره في المفصل والموصل[٢]. حيث بسط القول فيه، ثم أعاده مرة أخرى ليقيم الحجة على بشر. وهنا قال له المأمون: تكلم وأوجز. وكذلك أطال الكناني حين تكلم عن معنى كلمة "جعل"؛ فقد تمسك بشر بأن معناها خلق ليس غير، فأطنب الكناني في الرد عليه ليسجل عليه كلامه حتى قال له المأمون: هات ما عندك ولا تطل الكلام بغير حجة. وهكذا نجد الكناني واثقًا من نفسه، حجته حاضرة، قوية مؤثرة، تقطع الخصم، وتخرس ألسنة الجمهور، ويشهد له بها الخليفة.

فلو عددنا الكلمات التي تكلم بها بشر لأمكن حصرها في صفحات معدودة، أما كلام الكناني فهو كثير جدًّا، يطغى بشكل كبير على المناظرة، وفيه شرح كثير، وحشد لأدلة متعددة من القرآن الكريم الذي يحوز مصداقية كبيرة لدى المؤمنين.

بل إن القضايا الجانبية التي تطرح في المناظرة يشبعها الكناني تدليلًا؛ كما في رده على بشر حين قال: (ما أدري ما تقوله ولا أفهمه

(١) فاطمة كريم رسن، سلطة الحجاج بالشاهد القرآني في خطبة الزهراء، ٤٨، المجلد الأول، العدد ٢٢٢، مجلة الأستاذ، ٢٠١٧م.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٨٥– ٨٧، مرجع سابق.

ولا أعقله ولا أسمعه). فذكر الكناني سبعة أدلة من القرآن على أنه اختار لنفسه شيئًا ذمه الله تعالى، ووصف نفسه بما عاب الله على الكافرين مثله.

كذلك حين ادعى بشر أن كلمة "كل" لا يخرج عنها شيء في قوله تعالى: (الله خالق كل شيء)، فقد ساق أمثلة كثيرة تنفي أن تكون كل مفيدة للعموم الكامل التام. لقد أطنب الكناني في كلامه، قصد التسجيل على خصمه، والإشهاد عليه.

(٣/ ٥) **التأدب مع الحكم واحترامه:**

من سمات سلطة الحجاج أن المحاجج يتأدب مع الحكم، ويحترمه ويرفع من شأنه، وأسباب ذلك كثيرة: منها: أنه أمير المؤمنين، وأن موقف الكناني موقف الغريب الضعيف في مقابل حجاج السلطة بقوتها وغطرستها. ومنها أن احترام الحكم يجعله يكمل مناظرته على أتم ما يكون، ولو أساء الأدب فقد تنتهي المناظرة، أو يؤمر بقتله قبل بيان حجته، أو يسجن ويعذب. وقد أبدى الكناني تأدبًا شديدًا مع الخليفة المأمون، فما ناداه إلا بأمير المؤمنين، وما ناداه إلا دعا له بالبقاء، وعرف له قدره ومكانته.

ومن صور التأدب مع الحكم: الاستعانة به لضبط الخصم، واعتدال سير المناظرة. وقد فعل الكناني ذلك حين رفض بشر التفاعل مع الكناني، حين سأل بشرا عن عدة مسائل فقال بشر: (تمتحنني وتشغلني حتى يؤذن للظهر، وينقطع المجلس رجاء أن تنصرف سالمًا، وهو ما لا يكون). وواضح أن كل ما يشغل بشرًا هو قتل الكناني، لكن القتل لم يشغل الكناني، فما خرج من بيته، وتكبد عناء السفر إلى بغداد إلا مضحيًا بنفسه في سبيل إظهار الحق، وقد قال: (يا أمير المؤمنين ليس ينصفني فأْمره أن يجيبني عما أسأل) [١].

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٧٥، مرجع سابق.

كذلك استعان به الكناني حين علا صوت الجمهور، فحين قال الكناني إن القرآن شيء لا كالأشياء علا صوت بشر والجمهور فسكت الكناني ولم يتكلم فظنوا أنهم قد انتصروا عليه فاستعان بالمأمون، فصاح بالجمهور ومنهم محمد بن الجهم فأمسكوا [١].

ومن صور التأدب مع الحكم واحترامه: إشهاده على كلام الخصم ليسجل عليه، ذلك أن الخصم تأخذه العزة بالإثم، فلا يعترف بالانقطاع، ولا يحكم بذلك إلا الحكَم، ولذلك كان الكناني يُشهد المأمون على كلام بشر المريسي، ومن أمثلة ذلك أن الكناني حين فسر "جعل" بمعنى خلق، وزعم أنه لا يخالفه أحد من العرب في ذلك أشهد الكناني المأمون على قوله، حتى يكون كسر كلامه قاصمة ظهر لبشر وأتباعه[٢].

ومن صور احترام الكناني للحكم مدحه، ولعل هذا المدح صورة من صور الاحترام لمقام أمير المؤمنين، كما أن فيه تلطيفًا لجو المناظرة، واستمالةً لقلب الخليفة، وإرغامًا للخصوم، ولأمن شر الخليفة الذي توعده في البداية أنه لو لم يوفق فدمه هدر. ولذلك انبث في المناظرة مدح الكناني للخليفة، من مثل قوله: (ولنعم الحاكم أنت جزاك الله عن رعيتك أفضل الجزاء) ومن مثل قوله: (يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن القرآن منزل بلسانك وبلسان قومك، وأنت أفهم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها) ونحو قوله: (جزاك الله عني يا أمير المؤمنين خاصة وعن رعيتك عامة أفضل الجزاء فقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل) وهكذا كان الكناني يمدح الخليفة بين الحين والآخر.

(١) السابق، ٥٠.

(٢) السابق، ٧٤.

(٣/ ٦) عدم التغاضي عن مخالفات الخصم:

قد يلجأ الخصم لارتكاب مخالفات؛ لأنه يملك القوة والسلطة، وهنا يجب ألا يوافق المناظر الذي يملك سلطة الحجاج على هذه المخالفات، ولابد أن يتصدى لها بقوة حتى لا تتزايد بتقدم المناظرة، ولهذه السمة صور كثيرة منها:

أولا: الرد على الإساءة بما يقطع صاحبها: ومن أمثلة ذلك أن الكناني لم يسكت على من قال للخليفة: يكفيك منه قبح وجهه. فاستأذن أن يقول شيئًا، فلما أُذن له رد على القائل بأن سجن يوسف كان بسبب جماله، وإخراجه من السجن كان بسبب علمه، ثم العائب يعيب الخالق، وليس يعيب المخلوق.

ثانيا: لا تترك خصمك يقول شيئا على لسانك: إن التهاون في ترك خصمك يقول ما يريد على لسانك يجعل الخصم يثبت عليك الخطأ، والخصم لن يقول على لسانك إلا ما يشينك، وما يخطئك. فلا تدع له فرصة يقول فيها شيئًا ويثبته عليك بلسانه هو. ومن أمثلة ذلك حين سأل بشر الكناني عن القرآن أهو شيء أم غير شيء، وقبل أن يجيب الكناني أسرع بشر فقال: (فإن قلت: هو شيء أقررت أنه مخلوق. وإن قلت: ليس بشيء فقد كفرت؛ لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليست بشيء"[(١)]. إنها استراتيجية المحاصرة، وتوجيه الحديث إلى وجهة يريدها بشر، وهذه يسميها عادل مصطفى: القسمة الثنائية الزائفة حيث يبني المناظر حجته (على أن هناك خيارين فقط، أو أن هناك نتيجتين ممكنتين لا أكثر، بينما هناك خيارات أخرى) [(٢)].

(١) السابق، ٤٦.

(٢) عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ١١٥، مرجع سابق.

إن بشرًا أراد إغلاق البدائل الممكنة أو الاحتمالات المتعددة أمام الكناني، ولم يبق سوى خيارين اثنين؛ أحدهما باطل عقلا، والثاني هو رأي بشر الذي يريد لعبد العزيز أن يعترف به. وهنا تدخل الكناني ولم يوافق على ما قاله بشر على لسانه، وقال: (ما رأيت أعجب منك!! تسألني وتجيب نفسك عني وتكفرني ولم تسمع كلامي ... إني أحسن أن أجيب عن نفسي وأحتج لمقالتي ومذهبي). ويبدو أن هذه كانت استراتيجية أثيرة لدى بشر، ففي موطن آخر قال للكناني: (ويلزمك أن تقول: إن الله لم يزل يفعل ويخلق، وإذا قلت ذلك فقد أثبتَّ أن المخلوق لم يزل مع الخالق). فرد عليه الكناني: (ليس لك أن تحكم علي وتلزمني ما لا يلزمني، وتحكي عني ما لم أقل) [1].

ثالثا: مطالبة الخصم بعدم التعميم: قد يقول الخصم شيئًا، ويدعي فيه التعميم، ويدخل المناظر في جملة مَن قصدهم بالتعميم، فلابد للمناظر أن يطالبه بعدم التعميم، وأن يكون كلامه عن نفسه، وحين يكسر قوله يعيد عليه أنه كان ينبغي أن يتكلم عن نفسه، ولا يعمم، فبذلك يعطيه درسًا قويًّا في لزوم الجادة، وعدم التقول على الآخرين بغير حق. فقد ادعى بشر أن معنى "جعل": خلق في قوله تعالى: (إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا)، وأنه لا فرق بين الفعلين عنده، وعند سائر الناس، وعند سائر العرب والعجم. فقال له الكناني: (أخبرني عن نفسك، ودع ذكر العرب، وسائر الناس؛ فأنا من الناس ومن الخلق، ومن العرب، أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب تخالفك) [2]. والكناني بذلك يريد منه أن يمثل نفسه فحسب، ولا يتحدث باسم سائر الخلق، ولا سائر العرب؛ لأنه مخطئ في قوله، والتركيز على هذه

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٩٧، مرجع سابق.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٧٤، مرجع سابق.

الأمور يجعل الخصم حذرًا من المخالفة، لأن التنازل عن الحقوق يطمع خصمك فيك، والوقوف عند هذه الأمور الصغيرة يضع حاجزًا بين الخصم والتجاوز.

رابعًا: تذكير الحكَم بدوره في ضبط المناظرة، لأن الخصم قد يتجاوز، ولا يتنبه الحكم إلى هذا التجاوز، فيأتي دور المحاجج لكي ينبه الحكم إلى دوره الأساسي. ويدل على ذلك أن بشرًا قال في الآية الكريمة: (إنا جعلناه قرآنا عربيا) أي خلقناه. فطلب منه الكناني الدليل على ذلك، وأن المناظرة بنص التنزيل، فقال: هذا هو نص التنزيل، ولا يخالف فيه أحد. هنا توجه الكناني إلى المأمون فقال: (إن بشرًا يقول ما يخطر بباله من غير علم، ولا حقيقة لقوله) هذا رأي الكناني فيما يقوله بشر، ثم التوجه للمأمون تنبيه للقيام بدوره فقال الكناني: (فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجري بيننا في هذه المسألة، ويشهد علينا بما نقول، ويطالب كل واحد منا بإقامة الشاهد على ما يقول فعل)، والكلام مسوق في أسلوب يقطر أدبًا مع الخليفة حيث هو الحكم لكنه أيضًا السلطة الباطشة، وهذا الأدب الجم من الكناني هو الذي أحرج المأمون فجعله يقول: (أنا أفعل منذ اليوم). وفي هذا الكلام نوع من التوجيه للحكَم كي يعرف مهمته التي أنيطت به.

(٣/ ٧) **عدم الاستجابة لحيل الخصم:**

قد يلجأ الخصم إلى بعض الحيل ليدهش خصمه ويلهيه عن أصل المناظرة، وهذه لها صور منها: رفع الصوت، وطلب تدخل الحكم، وتحريف كلام الخصم، وادعاء أنه أكذب نفسه، أو أنه رجع عن قوله، والتفرع في قضايا لا علاقة لها بالحوار، وغير ذلك من مشاركة الجمهور في الحوار، ودخولهم في المناظرة. وهنا يجب أن يكون المحاجج واعيًا لا يتأثر بمثل هذه الشواغل، ولا ينصرف عن أصل المناظرة حتى لا يضيع جهده، فلا يظهر إن كان قد انتصر أو انهزم، فالتركيز على أصل الموضوع، ومحاربة

الصوارف دليل نجاح المحاجج، وعلامة تركيزه، وأن زمام المناظرة لم يفلت من يده.

ففي المناظرة كان الكناني إذا رأى تدخل الجمهور توقف عن الكلام، وهنا يظن بشر أنه قد انقطع، فإذا قال له المأمون تكلم. قال: حتى يسكت هؤلاء. وهذا نوع من التركيز، وقوة الشخصية، وتقدير لما يحمل من العلم، فهو لا يتكلم وقت كلام الناس؛ فتضيع حجته مع أصوات الغوغاء، ولكنه ينتظر حتى يستمع الجميع. فإضافة إلى فرض احترامه على المستمعين نجد نوعًا من الضبط حين يتخلى الحكَم عن مهمته الأساسية. فحين قال الكناني: إن القرآن شيء لكنه ليس كالأشياء. طالبه بشر بأن يأتي بالدليل من نص التنزيل. فتعالت الأصوات، وجعل الجمهور يصيح: ظهر أمر الله وهم كارهون، وجثا بشر على ركبتيه، وطمع في قتل الكناني. يقول الكناني: فأمسكت فلم أتكلم، فلما سأله المأمون عن سبب صمته قال: (قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل، وهو المناظر لي، فضجيج هؤلاء أي شيء هو؟ ... ولست أتكلم في هذا المجلس، ويتكلم فيه غير بشر إلا أن ينقطع بشر فيعتزل، ويتكلم غيره في مكانه) [1]. وهذه وسيلة ممتازة للإسكات، وتنبيه الحكم إلى دوره، وترغيم للخصم، ودحر للجمهور.

(٣/ ٨) <u>استدراج الخصم</u>:

من سمات سلطة الحجاج المد للخصم حتى يقع في الخطأ، ويظهر للحاضرين جهله، ومن أمثلة هذا التغرير بالخصم <u>أن تظهر موافقتك له في كلامه الخطأ حتى تصل إلى أقصى ما يمكن أن يغلط فيه</u>. قال بشر: (قد خطبت وتكلمت وهذيت وتركتك حتى تفرغ مما ادعيت ... ومعنا من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها ... وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٥٠، مرجع سابق.

عليها، وسفك دمك بها). وبشر يشير دائمًا إلى سفك الدم تخويفًا له، ومحاولة لإدهاشه حتى تغرب عنه حجته. قال الكناني فقلت: (هاتها فأنا أشهد أمير المؤمنين على نفسي أني أول من يتبعك عليها، ويقول بها، ويرجع عن قوله، ويكذب نفسه، ويتوب إلى الله إن كان معك نص التنزيل ...) [(١)]. فقول الكناني يدل على مد الحبل، والتغرير بالخصم حتى يفتضح أمره، ولعل مما يعين على ذلك تمكن الكناني من علمه حيث يعلم أنه ليست هناك آية تنصر مذهب بشر، وهم يتحاجون بنص التنزيل.

ومن التغرير بالخصم توريطه بحيث يحكم على نفسه، وهو لا يشعر أنه يسعى إلى حتفه، ولو أن الخليفة المأمون لم يكن على رأي بشر لكان قد أباح دمه، كما توعد الكناني في بداية المناظرة، لكنه على الرغم من انقطاع بشر، وتفوق الكناني عليه إلا أن الحكَم وهو المأمون لم يقتله، ولم يحكم عليه بكفر، بل ولم يرجع عن قوله على الرغم من ظهور الحق، وتأكد الصدق في جانب الكناني.

ومن أمثلة تغرير الكناني لبشر واستدراجه له أنه سأله: (زعمت أن معنى جعلناه: خلقناه؟ فقال بشر: نعم ... قال الكناني: الله تفرد بخلقه أو شاركه فيه أحد؟ فقال بشر: بل تفرد بخلقه). وهذه أسئلة استدراجية توريطية، يقصد الكناني ما وراءها، ودليل ذلك قول الكناني: (أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: بل كافر حلال الدم. قال الكناني: وأنا أقول هكذا كافر حلال الدم). لم يكتف بشر بالقول بكفر من قال ذلك، ولكنه أردفها بأنه حلال الدم، وكأنه واثق من أن الحُكْم لا يمسه، وأن الكلام ليس إلزامًا له.

(١) السابق، ٧٢.

ويلاحظ أن الكناني قد استدرجه حتى أقر على نفسه أنه كافر حلال الدم. فسأله خمسة أسئلة على الشاكلة السابقة ثم ساق أحد عشر دليلا بإحدى عشرة آية تفيد أن "جعل" ليس معناها خلق. فهذا الاستدراج والمد والتغرير بالخصم يدل على فقه الكناني، وجهل بشر، ووقوعه في الشَّرَك الذي نصبه له الكناني.

(٣/ ٩) **<u>التنبيه على سبب الشبهة لدى الخصم</u>:**

من سمات سلطة الحجاج أن يقف المناظر على السبب في دخول الشبهة على الخصم، وهذا يدل على فهم راقٍ لمداخل القضية المتناظر عليها ومخارجها، كما أنه يدل على التبحر في العلم، وسعة الثقافة، وقوة العقل. ذكر بشر أن قوله تعالى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا) [١]. معناها: خلقناه. ورد عليه الكناني بأن "جعل" لها معنيان: جعل بمعنى خلق، وجعل بمعنى صيَّر، ثم قال: (وإنما دخل الجهل على بشر، ومن قال بقوله –يا أمير المؤمنين–؛ لأنهم ليسوا من العرب، ولا علم لهم بلغة العرب، ومعاني كلامها، فتناولوا القرآن على لغة العجم التي لا تفهم ما تقول ... فكل كلامهم ينقض بعضه بعضا"[٢].

وفي موضع آخر ذكر الكناني أن بشرًا (ما قصد بكلامه إلا تنقيص العرب كلها، وذم كلامها ولغاتها، وما تتعامل به في خطابها) [٣]. وهذا وعي بالدافع الذي يختفي وراء موقف بشر من القول بخلق القرآن هو ومن قال بمثل قوله. ويدل ذلك على فهم راقٍ من الكناني لأصل المشكلة، وموطن دخول الشبهة، والدوافع التي تدفع خصمه لتبني رأيه الذي يخالف به

(١) سورة الزخرف، ٢.

(٢) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٨٤، مرجع سابق.

(٣) السابق، ٨٦.

إجماع المسلمين، ويريد حمل الأمة عليه. وبسبب فهم الكناني لهذه القضية تراه يشير في كلامه إلى عدم منهجية الخصم، وأنه ليس صاحب قضية واضحة المعالم، محددة القسمات، لها ضوابط معلومة لا تتخلف. فلما أدرك ذلك رأيناه ينبه إلى مواطن التناقض في قول بشر، يقول الكناني: (وبشر يقول ما يخطر بباله من غير علم ولا حقيقة لقوله).

(٣/ ١٠) **<u>الإجابات المسكتة والردود المفحمة</u>:**

وقد يكون المحاجج ذكيًّا يلتمس أوقات ضعف الخصم ليعنفه تعنيفًا شديدًا، ويوبخه توبيخًا عظيمًا، ومن ذلك أن بشرًا حين تبين خطؤه في معنى: "جعل"، وقد انقطع أمام حجج الكناني فقال: (وعلى الخلق أن يتعلموا لغة العرب؟ ما تعبدنا الله بذلك ولا كلف الخلق فوق طاقتهم) ووجد الكناني الفرصة سانحة ليعنف بشرًا، ويهز ثقته بنفسه، ويجعله في موقف التلميذ. فقال الكناني: (وكلف الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون؟ حيث ادعيت العلم، وتكلمت في القرآن العظيم، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه) ويبدو تعنيف الكناني لبشر ظاهرًا حيث أخذ نفسه بما لا يعرف، وأشد منه دعوته الآخرين إلى مذهبه فقال الكناني: (ودعوت الخلق إلى اتباعك، وكفَّرت من خالفك، وأبحتَ دمه ...) [(١)]. ولا شك أن هذا التعنيف بعد الانقطاع عنيف جدًا. وقد كانت ردود الكناني على بشر مفحمة قد اعترف بها المأمون وهو الحكم بين الخصمين، ولم يعترف بها بشر. فقد ساق حججًا قوية في بيان معنى "كل" وأنها ليست تفيد التعميم الذي لا يخرج منه شيء. كما كانت حججه قوية في بيان معنيي "جعل" في القرآن، وأنها تكون بمعنى خلق، وتكون بمعنى صيَّر. كما ظهرت حجته القوية في المناظرة بالقياس والمنطق أيضًا، وهذه سمة من سمات سلطة الحجاج، ومن يمتلك

(١) السابق، ٨٧.

ناصية البيان، وينافح عما يعتقد لا يستقوي بالسلطة، ولكن يقويه بيانه وحجته.

(٣/ ١١) الوقوع في بعض المغالطات الحجاجية:

من الطبيعي في المناظرة أن تكون هناك مغالطات، خصوصًا إذا كان حجاج السلطة يوقن أنه على الصواب، وما عداه خطأ، فيرتكب هذه المغالطات بصورة فيها اطمئنان؛ لأنه يملك السلطة التي يؤدب بها مخالفيه. وفي المقابل ترى سلطة الحجاج ترتكب مغالطات هي الأخرى، فليس معقولًا أن يكون الخصم كثير المغالطات، ويظل صاحب سلطة الحجاج ملتزمًا بالصورة المثالية للمناظرة، ومن هنا يمارس بعض المغالطات، لكننا نشير هنا إلى أن مغالطات سلطة الحجاج أقل من مغالطات حجاج السلطة. (يميل منظرو الحجاج إلى اعتبار السفسطة / المغالطة انحرافا طبيعيا يعتري الخطاب عموما، ولا يكاد يسلم منه أحد) [١]. ويدعو هؤلاء إلى الكف عن مقاربة السفسطة من الوجهة الأخلاقية التي كان القدماء يعالجونها بها، ويدعون إلى الاقتصار على وصف مظاهرها وصفا علميا فحسب للتقليل من أضرارها. ومن **مغالطات سلطة الحجاج** ما يلي:

(٣/ ١٢/ أ) السخرية من الخصم:

من مغالطات الحجاج أن يسخر المناظر من خصمه، والسخرية ليست شيئًا جيدًا في الحجاج؛ فالأصل أن يقوم كل مناظر بحجته، ولا يجعل الآخر هزأة ومسخرة، ولكن يحدث أن يسخر أحدهما من الآخر، وكونها تصدر من سلطة الحجاج فهذا شيء يمكن تعليله بأنه رد فعل على التهديد الذي يتعرض له صاحب الحجاج من جانب حجاج السلطة، كما أن ثقته بنفسه وتأكده من قوة حجاجه تجعله ينظر إلى خصمه على أنه

(١) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات، ٢٠، مرجع سابق.

لا يحيط بالقضية المحاج حولها فيسخر منه. وقد فعل الكناني ذلك حين سأله بشر عن القرآن هل هو شيء أو غير شيء، ثم أجاب بشر على نفسه فقال له الكناني: (وما أحسبك إلا قد تعلمت شيئا، أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها، أو قرأتها في كتاب، فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها) [١]. وحين أجاب الكناني على بشر بأن القرآن شيء لا كالأشياء قال له بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه. فقال الكناني: (صدقت، إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات ...). وهكذا نجد الكناني صاحب سلطة الحجاج يسخر من بشر، ويصفه بأنه لا يفهم ولا يعي.

(٣/ ١٢/ ب) المواجهة بما يكرهه الخصم،

وهي قريبة من التجريح، وقد وقع ذلك من الكناني حين قال مخاطبًا أمير المؤمنين عن بشر: (وبشر رجل من أبناء الأعاجم يتأول كتاب الله على غير ما عناه الله عز وجل، ويحرفه عن مواضعه، ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب، ولا تتعارفه في كلامها ولغاتها) [٢]. وهذا الكلام موجع لبشر، وإن كان حقيقة إلا أن من يناظر شخصًا بالعربية ثم يتهمه بأنه لا يفهم شيئًا في العربية فذلك يؤذيه، أو يتهمه بأنه من أبناء الأعاجم فذلك مما يوغر صدره عليه. وكان الأولى أن يظهر الكناني بطلان حجة بشر دون أن يواجهه بهذه الحقيقة المُرَّة.

(٣/ ١٢/ ج) تقمص دور الحكم:

من مهمة المحاجج أن يبين الحجة، ويترك للحكم أن يقول رأيه، ويفضل حجة أحد المتناظرين على الآخر، أما أن يقوم أحد المتناظرين بدور

(١) عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ٤٦، مرجع سابق.

(٢) السابق، ٧٣.

الحكم فيحكم على خصمه، فهذه مغالطة من مغالطات الحجاج. وقد فعل ذلك الكناني حين سأل بشرًا عن حكم من قال: إن بعض بني آدم خلقوا الملائكة؟ فقال بشر: هو كافر حلال الدم. فقال الكناني: (يا أمير المؤمنين، قد أقر بشر أنه كافر حلال الدم، وكل من قال بقوله، ووافقه على مذهبه) [1]. وبذلك يكون الكناني قد صار مناظرًا وحكمًا في الوقت نفسه مما أدى إلى غضب المأمون، وقوله للكناني: (لقد أفحشت القول وأعظمته، وأشهدتني على ما لم أسمعه، ولم أشهد على بشر به، ولا على أحد يقول بقوله) ولعل غضب المأمون من أن الكناني قد أطلق قوله دون أن يوضح، فهو قد سأل بشرًا عدة أسئلة وصلت إلى ستة أسئلة عن حكم من قال: إنه قد خلق الله أو الملائكة أو بعض المخلوقات، ولم يظهر السبب الذي جعله يحكم على بشر بالكفر، وحل الدم. لكنها على كل حال تعد مغالطة؛ لأن الحكم هو المخول لإطلاق الأحكام، والمناظر عليه أن يظهر الحجج، ويقيم الأدلة، ويترك الحكم لمن ارتضاه الطرفان أن يكون حكمًا بينهما.

(١) السابق، ٧٦.

الخاتمة

تناولت الدراسة تمهيدًا حاولت فيه أن تحدد مصطلحات الدراسة الأساسية وهي: السلطة والحجاج والمناظرة، وذكرت الدراسة أن هناك نوعين من الحجاج: حجاجًا للسلطة، وسلطةً للحجاج، وذكرت مفهوم السلطة، ومفهوم الحجاج، والمقصود بمفهوم سلطة الحجاج التي تعنيها، ومفهوم حجاج السلطة، وقُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: سياق المناظرة. والمبحث الثاني: السمات المائزة لحجاج السلطة. والمبحث الثالث: السمات المائزة لسلطة الحجاج، وكان ذلك كله تطبيقًا على مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني التي ناظر فيها بشرًا المريسي، في حضور الخليفة المأمون.

وقد بدا واضحًا أن سياق المناظرة كان مشحونًا حجاجيًّا من خلال حمل العلماء وعامة الناس على القول بخلق القرآن، وأن السلطة السياسية كانت تبذل في سبيل ذلك جهدًا كبيرًا، وترهب العوام بسطوتها، وأن العلماء منهم من وافقهم خوفًا على نفسه، ومنهم رفض فقتل، أو رفض فعُذِّب وجُلِد. فكانت مخاطرة الكناني بنفسه وبولده لكي يرد على هذا الترهيب في أمر يراه خطأ، ويرى رأيًا غيره، بما آتاه الله من حفظ كتابه، وفهم معانيه، ومعرفة أسرار اللسان العربي الذي نزل به هذا الكتاب.

وفي المبحث الثاني استخرجت الدراسة عددًا من السمات المائزة لحجاج السلطة من خلال مناظرة الحيدة منها: الترهيب والتهديد، ومنها استمالة الحكَم، ومنها الجرأة في التعميم، ومنها إغراء السلطة بالخصم، ومنها توريط الخصم، ومنها المغالطات الحجاجية المتعمدة التي شملت:

١- السماح الضمني للجمهور بالمشاركة في المناظرة إما بالتشويش على الخصم أو بسؤاله.

٢- تحقير حجة الخصم.

٣- تجريح الخصم.

٤- الغصب.

٥- الحيدة عن الجواب.

٦- الجواب الجدلي.

٧- تدخل الحكَم بسؤال الخصم.

٨- الأسئلة التعجيزية،

٩- المكابرة بعد وضوح الدليل،

١٠-هدم ما تم بناؤه والعودة إلى ما تجاوزه المتناظران.

١١-تطوع بعض الجمهور بالتشويش على الخصم.

وفي المبحث الثالث استخرجت الدراسة عددًا من السمات المائزة لسلطة الحجاج من خلال مناظرة الحيدة أيضًا منها: التخطيط الجيد للمناظرة، ومنها التضحية في سبيل المعتقد، ومنها التشديد على وضع مبادئ للمناظرة، ومنها الثقة بالنفس، ومنها التأدب مع الحكَم واحترامه، ومنها عدم التغاضي عن مخالفات الخصم، ومنها عدم التجاوب مع حيل الخصم، ومنها استدراج الخصم، ومنها التنبيه على سبب الشبهة لدى الخصم، ومنها الإجابات المسكتة والردود المفحمة، ومنها الوقوع في بعض المغالطات الحجاجية التي منها:

١- السخرية من الخصم.

٢- المواجهة بالأمور التي يكرهها الخصم.

٣- تقمص دور الحكَم بإصدار بعض الأحكام.

وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج تضاف إلى استنباط السمات المائزة لطبيعة كل من حجاج السلطة وسلطة الحجاج ومن هذه النتائج:

١- أن مصطلح السلطة له معنيان: معنى حسِّيٌّ وآخر معنوي، وأن الدراسة دارت حول كلا المعنيين.

٢- أن هناك مصطلحًا يسمى حجاج السلطة، أو الاحتجاج بالسلطة، ويقصد به الخبير في تخصص معين، وأن الدراسة استعملت بدلًا منه سلطة الحجاج.

٣- أن المناظرة بين الكناني وبشر المريسي كانت بين تيارين فكريين، وليست بين شخصين؛ فبشر يمثل الفكر الاعتزالي الذي فرض على الناس قسرًا بقوة السلاح، والكناني يمثل المذهب السني الذي صار مضطهدًا في ظل سيادة الاعتزال.

٤- المناظرة من سرد أحد طرفي المناظرة –ومع أننا لا نتهم الكناني– إلا أن الأصل أن تسجل المناظرة من طرف محايد حتى تكون الصورة في سردها كما وقعت بالفعل.

٥- كان كل طرف من الطرفين يملك استراتيجية مختلفة عن الآخر في الحوار والمناظرة؛ فبشرٌ يملك التهديد والترهيب، وكان الكناني يقابل ذلك بالسخرية.

٦- أن المغالطات أو الخروقات التي يرتكبها من يستعين بالسلطة تكون كثيرة، ويغض الحكَم الطرف عن كثير منها.

٧- اتضح من خلال المناظرة قصور فهم بشر المريسي عن طرائق التعبير في اللسان العربي، وذلك لكونه أعجميًّا، لكن العجيب أن يلبِّس على الخليفة ومن يحيطون به من العرب الخلص.

٨- كان المأمون منصفًا في الحكم بين الطرفين، ولم يتجاوز سوى في موقف واحد سأل فيه الكناني، ويبدو أن سؤاله كان ليثبت لمناصري بشر أن الكناني ليس من المشبِّهين.

٩- كان الكناني رابط الجأش يتعامل مع الخصم بثبات انفعالي، وكان ينتهج وسيلة ناجعة لإسكات الجمهور هي الصمت حتى يسكتوا ليتكلم هو.

١٠-من الذكاء عند الكناني أن يشدد على وضع مبادئ للمناظرة، وقد كانت في صالحه حيث اشترط أن يكون التناظر بنص التنزيل، وهذا شيء يتقنه الكناني ولا يتقنه بشر.

١١-أن المجتمع في بغداد في ظل الدولة العباسية كان يموج بأفكار متعددة دخلت إلى الثقافة العربية مع الوافد المترجم ووفود كثير من أصحاب هذه الأفكار إلى مقر الخلافة.

١٢-أن فتنة خلق القرآن أحدثت صدًى واسعًا في المجتمع الإسلامي، وأن الغالبية العظمى قد عارضوها، ولكن منهم من جاهر بذلك، ومنهم من آثر السلامة.

١٣-أن المتسلح بالحجاج – في الأعم الأغلب– يكون أقوى من المتسلح بسلطتين: سلطة الحجاج وتؤازرها قوة الحاكم.

١٤-أن سبب زيغ بشر المريسي وأصحابه عجمتهم التي حالت بينهم وبين الفهم الصحيح لمسالك اللسان العربي الذي نزل به القرآن.

١٥-ظهر من خلال المناظرة مدى سعة علم الكناني الأمر الذي جعل المأمون يطلب منه زيادة توضيح للمعاني الجديدة التي لم يكن المأمون يعرفها.

١٦-أن الفكر لا يمكن أن يتغير إلا بالفكر المضاد، وأن العنف يزيد صاحب الفكر المختلف تمسكًا برأيه، وإصرارًا على مبادئه.

وهناك نتائج أخرى مبثوثة في مواقعها من الدراسة

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٢. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ت: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
٣. أبو علي السكوني، عيون المناظرات، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.
٤. أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ط١، ٢٠١٤م.
٥. أحمد كمال أبو المجد، أدب الحوار، العدد ٣، مجلة المسلم المعاصر، مصر، ١٩٧٥م.
٦. إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٠، المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب، د. ت.
٧. أمل إبراهيم الملاح، السلطة والمجتمع، مقال منشور في: مجلة العلوم الاجتماعية وهي مجلة إلكترونية صادرة بتصريح من وزارة الثقافة والإعلام، في المملكة العربية السعودية على الشبكة الدولية (إنترنت): http://www.swmsa.net/art/s/2438.
٨. بدر الحمري، بلاغة الحجاج في الخطاب النقدي الأخلاقي عند طه عبد الرحمن: سؤال العنف نموذجاً، س ٢٥، ع ٩٩، مجلة الكلمة المغربية، ٢٠١٨م.
٩. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، موقع الألوكة: http://www.alukah.net/library/0/59949/.
١٠. جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.

١١.الحاتمي، مناظرة بين أبي الطيب المتنبي والحاتمي، ت: حسن محمد الشماع، المجلد الرابع، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٩٧٦م.
١٢.رامي جميل سالم، الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي: دراسة تحليلية، المجلد العاشر، العدد الثالث، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٤م.
١٣.ربيعة برباق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، العدد ٥، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ٢٠١٧م.
١٤.ردة الله الطلحي، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٥.رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب، ط ١، ٢٠١٠م.
١٦.سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ٢٠١١م.
١٧.ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق د/ كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧م.
١٨.سري مؤيد عبد اللطيف، ومحسن علي عريبي، استراتيجية الحجاج في الأصمعيات، مجلد ٤٧، حوليات آداب عين شمس، ٢٠١٩م.
١٩.سعيد بن عبد الله بن محمد العبري، آداب الحوار الإسلامي بين المسلمين وأخلاقياته، السنة ٦، العدد ١٣، مجلة الثقافة والتنمية، مصر، ٢٠٠٥م.
٢٠.طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٨م.
٢١.طه عبد الرحمن، سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٢.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٢٣.عادل مصطفى، المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٠٧م.
٢٤.عالم فايزة ابن أحمد، الحجاج في اللسانيات التداولية: دراسة لنماذج من القرآن الكريم، مجلة الكلمة، السنة ١٩، عدد ٧٥ منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ٢٠١٢م.
٢٥.عبد الرحمان السايب، أدب المناظرة والجدال عند علماء الإسلام، ع8 – ٩، مجلة كلية الآداب بالجديدة، المغرب، ٢٠٠٤م.
٢٦.عبد الرحمن بن أحمد السبت، حجاجية المناظرات الأدبية: المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصري نموذجا: مقاربة أسلوبية، المجلد ١١، العدد ٢، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، السعودية، ٢٠١٧م.
٢٧.عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط ٤، ١٩٩٣م.
٢٨.عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٢، ٢٠٠٢م.
٢٩.عبد القادر المغربي، مناظرة عالمين في مجلس المأمون، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٢٩، الجزء الثاني، ١٩٥٤م.
٣٠.عبد اللطيف سلامي، المدخل إلى فن المناظرة، دار بلومزبري مؤسسة قطر للنشر، ط١، ٢٠١٤م.
٣١.عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطابة السياسية: خطبة معاوية بن أبي سفيان نموذجا، الدورة التكوينية الثانية: بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، جامعة القرويين بمراكش، كلية اللغة العربية، ٢٠١٦م.

٣٢.عبد الله خليفة السويكت: البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية :مناظرة الآمدي بين صاحبي أبي تمام والبحتري أنموذجا: دراسة تداولية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، العدد ٧، ٢٠١٥م.

٣٣.عبد المجيد بنمسعود، مفهوم السلطة في ضوء المنظومة التربوية الإسلامية: دراسة نقدية لبعض الأطروحات المناهضة، مجلد ٩، عدد ٣٥، المجلة التربوية، الكويت، ١٩٩٥م.

٣٤.علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٨٩م.

٣٥.عمرو سليم، فن المناظرة، كتاب إلكتروني من موقع: https://download-pdf-ebooks.org/literature-library-1

٣٦.عيد بلبع: المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، المجلد الثاني، العدد الخامس، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، ٢٠١٧م.

٣٧.فاطمة داوود، الحجاج ونظرية التواصل، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، د. بشري البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، ط١، ٢٠١٢م.

٣٨.فاطمة كريم رسن، سلطة الحجاج بالشاهد القرآني في خطبة الزهراء، المجلد الأول، العدد ٢٢٢، مجلة الأستاذ، ٢٠١٧م.

٣٩.فطمة يحيى، استراتيجية المغالطة في التراث العربي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، ٢٠١٦م.

٤٠.القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي، المنية والأمل، ت: الدكتور سامي النشار، والدكتور عصام الدين محمد، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٢م.

٤١.ليتيمي مراد، الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني، رسالة ماجستير بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

٤٢. ليلى جغام، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.
٤٣. محمد الناصر كحولي، الحجاج المغالطي في أدب الأخبار، العدد ٤٥، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ٢٠١٧م.
٤٤. محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلًا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د. ت.
٤٥. محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠٠٨م.
٤٦. محمود فرغلي موسى، أدبية المناظرة وكسر النموذج الكلامي، العدد ١٧٨، مجلة عالم الفكر، الكويت، ٢٠١٩م.
٤٧. مكلي شامة، حجاجية مناظرة سعيد السيرافي ومتى بن يونس، العدد٩، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولودي، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١م.
٤٨. ناصر عبد الرازق الموافي، آداب المناظرة في التراث العربي بين النظرية والتطبيق، مجلد ١٢، العدد ٤، الجزء ١، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤٩. نجم الدين الطوفي الحنبلي، علم الجذل في علم الجدل، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، دار نشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ١٩٨٧م.